

المشهور

في ذكر الله تعالى

تأليف

أبي عبد الله محمد رشيد عثمان بن أحمد الروماني

دار ابن عفا

دار ابن القيم

المشوق
إلى فكر الله تعالى

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة للناسخ

ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب
كاملًا أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله
على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية
إلا بموجب موافقة خطية من الناسخ

الطبعة الثانية

1431هـ - 2010م

رقم الإيداع	2002 / 19994
الترقيم الدولي	3 - 70 - 6052 - 977

دار ابن عفان

للسنر والنزير

القاهرة ١١ درب الاتراك خلف الجامع الأزهر

ت: ٢٥٠٦٦٤٢٠ - محمول: ٠١٠١٥٨٣٦٢٦

الإدارة: الجزيرة برج الأطباء أول شارع فيصل

الفاون ٣٥٦٩٣٦١٥ - فاكس: ٣٥٦٩٢٨٥٠ - ٣٣٢٥٥٨٢٠

ص.ب ٨ بين السرايات

جمهورية مصر العربية

E-mail: ebnaoffan@hotmail.com



دار ابن القيم للنشر والنزير

دار ابن القيم للنشر والنزير

هاتف: ٤٣١٥٨٨٢ - فاكس: ٤٣١٨٨٩١

للفاكس: ١٥٦٤٧١

الرمز البريدي: ١١٧٧٨

المملكة العربية السعودية

E-mail: ebnaqayyam@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المَقْدِمَة

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد؛ فإن المستهدي بنور الإيمان، والناظر بعين البصيرة، قد علم تحقيقاً؛ أنه لا طريق إلى تحصيل سعادة الدنيا والآخرة، والفوز بالدرجات العالية، ونيل رضا الحق جلّ وعلا؛ إلا بمداومة ذكره سبحانه، وأخذ القلب حظاً وافراً من إجلاله وتعظيمه، وأدرك يقيناً أنه لا زكاة لهذا القلب ولا صلاح له؛ إلا بأن يكون الله عز وجل محبوبه وغاية مطلوبه، ولا سبيل إلى ذلك البتة إلا بمعرفته سبحانه والمواظبة على ذكره.

ولما فاز الموفقون بمعرفة هذا الأمر الجليل؛ جعلوا ذكر الله تعالى شغلهم وديدنهم، وشعارهم وديارهم، وامتلات قلوبهم منه، ولهجت ألسنتهم به، وألظوا به ليلهم ونهارهم، وفي جميع أحوالهم: ﴿قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾؛ حتى أصبح لهم كالماء للسمك، وغدا قرّة عيونهم، ونعيم قلوبهم، ولذة أرواحهم، ومحط أفراحهم، إليه ينيون،

وبه يتشبهون، ومنه يتزودون.

وهذا «المشوق إلى ذكر الله تعالى» جعلته ضمن «سلسلة تزكية النفس»؛ ترغيباً في سلوك طريق هؤلاء السادة، وشحذاً لساكن العزائم للحاق بساق القافلة، ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾.

وقد جاء الكتاب - بعد هذه المقدمة - خمسة أبواب:

● الباب الأول: في معنى الذكر وأنواعه ورؤوه.

وذكرت فيه أن الذكر يدخل فيه التسبيح والتهليل والتكبير ونحو ذلك، كما يدخل فيه سائر العبادات؛ فكل من كان في واجب أو مستحب؛ فهو في ذكر الله، وكل من كان تاركاً لمحرم أو مكروه؛ فهو في ذكر الله.

وذكرت فيه أيضاً أنواع الذكر، وما يثاب عليه صاحبه وما لا يثاب.

وذكرت أعلى أنواع الذكر، وأنه التحقق بمقام الإحسان.

وأخيراً ذكرت روح الذكر، وهو حضور القلب فيه؛ بتدبر المعنى والتعظيم لله عز وجل.

● الباب الثاني: في الأمر بذكر الله تعالى والتحذير من الغفلة.

وذكرت فيه آيات بينات، وأحاديث صحيحات، ومواعظ مرققات، سواء كانت من لطيف النثر أو رقيق الشعر؛ مما يلهج اللسان ويهيج القلب إلى ذكر الله تعالى.

وذكرت فيه أيضاً آداباً للذكر، وحذرت من الابتداع فيه.

كما حذرت من الغفلة، وذكرت الزاجرات عنها، وأنها - أعني

الغفلة - أساس خراب مصالح الدنيا، وضياح ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؛ مما أعده الله تعالى في الجنة لعباده الذاكرين.

ثم تكلمت عن الذكر الكثير، والأمر به، ومعناه، وطرق تحصيله وتيسيره، وفضائله، وأن أصحابه هم أهل السبق، وأن أكملهم وأعظمهم وأعلمهم بالله تعالى وأكثرهم ذكراً له هو نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

وذكرت أن الذكر القليل حال المنافقين، الذين شغلتهم أموالهم وأولادهم وشهواتهم عن ذكر الله عز وجل، الذي أمروا أن يكونوا عبيداً له لا لغيره.

● الباب الثالث: في فضل ذكر الله تعالى.

وذكرت فيه فضائل كثيرة للذكر تُسَيِّر القلوب إلى الله تعالى، وتهيجها إلى ذكره، وتجعل الناظر فيها - بإذن الله تعالى - من الذاكرين الله كثيراً؛ فبينت أن الذكر أفضل الأعمال، وأنه سبب لذكر الله تعالى للذاكر، وأنه يورث المحبة والمعية الخاصة، وأنه يعين على التوبة والاستغفار وسائر شرائع الإسلام، وأن مجالسه سبب لنيل المغفرة وتبديل السيئات حسنات، وسبب لتزيل السكينة وغشيان الرحمة وحفوف الملائكة بالذاكر، وذكرت فضائل أخرى كثيرة.

● الباب الرابع: في أحوال المؤمنين عند ذكر الله تعالى.

وشرحت في هذا الباب ما يحصل للذاكرين من الأحوال الرفيعة المحبوبة إلى الله عز وجل؛ كالوجل والطمأنينة، والخشوع والسكينة،

والخشية والبكاء؛ لا الزعيق والنعيق، والصعق والشهيق.

وهذا الباب ميزان؛ يعلو فيه الذكر السني، ويهوي فيه الذكر البدعي، وفرقان؛ يميز بين الأحوال الشرعية الصادقة والدعاوى الشطحية الكاذبة.

● الباب الخامس: في أفضل الذكر وأحبه إلى الله تعالى.

وفيه أن تلاوة القرآن أفضل الذكر، وتدبره سبب لشرح الصدور، وتنوير القلوب، ومجلبة لكل خير في الدنيا والآخرة.

ثم ذكرت أن أفضل الذكر بعد ذلك: كلمة «لا إله إلا الله»، ثم الكلمات الثلاث: «سبحان الله»، و«الحمد لله»، و«الله أكبر»، وكذا من أفضل الذكر قول: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، والصلاة على النبي ﷺ.

وبينت أنه ينبغي المحافظة على أذكار الصباح والمساء، وما يقال دبر الصلوات المكتوبات، وعند النوم والاستيقاظ، وكذا المحافظة على الدعاء في سائر الحالات، لجميع الحاجات، وخاصة الدعاء بأسماء الله الحسنى.

وختمت الكتاب ببيان ضرورة دوام طلب العون من الله تعالى على ذكره.

وأسأله سبحانه - وهو الجواد الكريم - أن يجعل هذا الكتاب هادياً للراغبين، وحادياً للساثرين، ومهيجاً قلوبهم إلى ذكره، وخالصاً لوجهه، ومتقبلاً بمنه وكرمه.

وكتب

أبو عبد الله

٢٣ / ذو القعدة / ١٤٠٩ هـ

صنّان

الباب الأول

في معنى "الذكر"
وأنواعه وروحه

فصل في معنى الذكر

قال القرطبي^(١): أصل الذكر التنبيه بالقلب للمذكور والتيقظ له، وسُمِّيَ الذكر باللسان ذكراً لأنه دلالة على الذكر القلبى؛ غير أنه لما كثر إطلاق الذكر على القول اللساني؛ صار هو السابق للفهم.

وقال النووي^(٢): قال الإمام أبو الحسن الواحدى: أصل الذكر في اللغة: التنبيه على الشيء، ومن ذَكَرَكَ شيئاً؛ فقد نبهك عليه، وإذا ذَكَرْتَهُ؛ فقد نبهته عليه. قال: ومعنى الذكر: حضور المعنى في النفس، ثم يكون تارة بالفعل، وتارة بالقول، وليس بشرط أن يكون بعد نسيان. هذا كلام الواحدى.

وقال^(٣): اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها، بل كل عامل لله تعالى بطاعة فهو ذاكراً لله تعالى؛ كما قاله سعيد بن جبير^(٤) رضي الله عنه وغيره من العلماء.

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢ / ١٧١).

(٢) «تهذيب الأسماء واللغات» (٣ / ١١١).

(٣) «الأذكار» (ص ٧).

(٤) انظر قوله رحمه الله: (ص ١٣٢).

وقال شيخ الإسلام^(١): إن كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب؛ مما يقرب إلى الله؛ من تعلم علم وتعليمه، وأمر بمعروف ونهي عن منكر؛ فهو من ذكر الله، ولهذا من اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض، أو جلس مجلساً يتفقه فيه الفقه الذي سمّاه الله ورسوله فقهاً؛ فهذا أيضاً من أفضل ذكر الله.

وقال ابن رجب^(٢): الذكر المطلق^(٣) يدخل فيه الصلاة وتلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه والعلم النافع، كما يدخل فيه التسبيح والتكبير والتلهيل.

وقال ابن سعدي^(٤): كل من كان في عبادة؛ فهو في ذكر الله، ومن ترك منهياً لله؛ فهو في ذكر الله.

وقال^(٥): الذكر لله الذي أمر به وأثنى على الذاكرين وذكر جزاءهم العاجل والآجل؛ هو عند الإطلاق يشمل جميع ما يقرب إلى الله؛ من عقيدة، أو فكر نافع، أو خلق جميل، أو عمل قلبي أو بدني، أو ثناء على الله، أو تسبيح ونحوه، أو تعلم أحكام الشرع الأصولية والفروعية، أو ما يعين على ذلك؛ فكله داخل في ذكر الله.

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٦٦١).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص ٤٢٢).

(٣) وقد يأتي الذكر في القرآن أو السنة مقيداً؛ فيكون المراد منه بحسب قيده؛ كقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ [الحج: ٣٦].

(٤) «المواهب الربانية» (ص ٥).

(٥) «تيسير الكريم الرحمن» (٥ / ٤٨٤ - ط المدني): «أصول وكليات في التفسير».

وقال^(١): الذكر لله الذي ورد في القرآن الأمر به والثناء على أهله، وما رتب عليه من الجزاء؛ يطلق على جميع الطاعات الظاهرة والباطنة، القولية والفعلية؛ فكل ما تصوره القلب أو أراحه أو فعله العبد أو تكلم به مما يقرب إلى الله؛ فهو ذكر لله، والله تعالى شرع العبادات كلها لإقامة ذكره؛ فهي ذكر لله.

ويطلق على ذكر الله باللسان بذكر أوصافه وأفعاله، والثناء عليه بنعمه، وتسبيحه وتكبيره وتحميده والتهليل، والصلاة على النبي ﷺ. ومن ذكره ذكر أحكامه؛ تعلمها وتعليمها، ولهذا مجالس التعلم والتعليم يقال لها: مجالس الذكر. وأفضل أنواع الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان.

(١) «تيسير اللطيف المنان» (ص ٢٠١).

فصل

في أنواع الذكر وما يثاب عليه منه

الأول: نطق اللسان بالأذكار؛ من تلاوة، وتسبيح، وتهليل، وتكبير، ونحوها.

الثاني: نطق القلب بهذه الأذكار.

الثالث: اشتراك اللسان والقلب بالنطق؛ بأن يتفرغ القلب مع اللسان فيه.

الرابع: استحضار القلب لمعاني الأذكار دون نطق اللسان.

الخامس: استحضار القلب لها مع نطق اللسان بالذكر.

السادس: استحضار عظمة الله تعالى وجلاله وكماله إجمالاً أو بالتفصيل، بتدبر أسمائه الحسنى وصفاته العلى الثابتة له في الكتاب والسنة؛ بتناول كل اسم وصفة منها، والتفكر في معانيها، واستحضار عظمة الموصوف بها وكماله وجلاله، وتنزيهه عما لا يليق به، ثم امتلاء القلب من ذلك، وحصول ثمرته من المحبة لله تعالى والخوف منه والرجاء منه، وخشوع القلب وإخلاصه له، وطمأنينته بذكره، وتوكله عليه، وسائر أحوال القلب الإيمانية.

ويدخل في هذا الذكر التفكير في مخلوقات الله تعالى البديعة، ويدخل فيه أيضاً ذكر نعمه السابغة الظاهرة والباطنة، وجوده وكرمه وتفضله على عباده؛ مما يهيج الطائعين منهم والمقصرين إلى شكره. وهذا النوع من الذكر - أعني السادس - أعلى أنواع الذكر لله، خاصة إذا التحق به:

النوع السابع: بأن يضاف إلى هذه الأحوال الشريفة الرفيعة نطق اللسان بالأذكار الشرعية الصحيحة؛ بتدبر معانيها، وتفهم أسرارها ومراميها؛ فإنها تارة تعبر عما في القلب، وتارة تجلبه وتوجهه. ويكون هذا الذكر نافعاً بتحقيق:

النوع الثامن: وهو الانقياد والتسليم لأوامر الله تعالى؛ فيسارع العبد إلى عمل الصالحات، واجتناب المنهيات؛ محبة لله تعالى، وخوفاً منه، ورغبة إليه، وإرادة لوجهه، ومتابعة لرسوله ﷺ.

ومع مداومة هذا الذكر، وامتلاء القلب منه، والصبر عليه؛ لا بد أن يفتح الفتاح العليم والرزاق الكريم على عبده، ويوفقه لأحسن الأحوال وأرفع المقامات وأعلى الدرجات، إلى أن يتولاه ويصطفيه، ويجعله من أحبائه المقربين، الذين عبده بالإحسان؛ كأنهم يرونه، نسأل الله تعالى من فضله العظيم.

فصل

قال القاسمي^(١): اعلم أن ذكر الله تعالى تارة يكون لعظمته؛ فيتولد

(١) «محاسن التأويل» (٢ / ٣١٥).

منه الهيبة والإجلال، وتارة يكون لقدرته؛ فيتولد منه الخوف والحذر،
وتارة لنعيمته؛ فيتولد منه الشكر، ولذلك قيل: ذكر النعمة شكرها،
وتارة لأفعاله الباهرة؛ فيتولد منه العبر، فحق المؤمن أن لا ينفك أبداً
عن ذكره تعالى على أحد هذه الأوجه.

قلت: ولا داعي للحصر بهذه الوجوه الأربعة، بل يذكره بوعده؛
فيتولد منه الرجاء، ويذكره باطلاعه على السر والعلانية؛ فتولد منه
المراقبة، ويذكره بجوده وكرمه وتفضله وستره على عبده المقصر في
حقه؛ فيذهل لذلك، ويتولد منه الحياء، ويهيج بسببه الشكر، ويذكره
بلطفه؛ فتولد منه الرغبة في كل خير، والاستشراق لأعلى الدرجات،
والتطلع لسني الأحوال ورفع المقامات.

وبالجملة يذكر الله تعالى بكل أسمائه الحسنی وصفاته المجيدة،
ويتفكر في أفعاله الباهرة الحكيمة، الدائرة بين الفضل والعدل؛ فيزداد
يقيناً بشرعه، ويتولد له عن كل اسم وصفة ثمرته من الأحوال الإيمانية،
والمعارف الإلهية، وسائر الفتوحات الربانية، ما لا يمكن وصفه
والتعبير عنه؛ مما هو نموذج عن نعيم الجنة، ولأصحابه قرة عيونهم،
وجنة دنياهم، وأعلى مطالبهم، وأفضل مكاسبهم، كيف لا وهو ثمرة
معرفة أعظم شيء وأكبر شيء، وهو الله رب العالمين؟!

قال بعضهم: اعلم أن الفكر يأتي على وجوه: فتارة يذكر الله
لعظمته؛ فيتولد منه الهيبة والإجلال، وتارة يذكره لقدرته وغناه
وسطوته؛ فيتولد منه الخوف والحذر، وتارة يذكره لفضله ورحمته
وجوده وكرمه؛ فيتولد منه الرجاء، وتارة يذكره بوعده بالنظر إليه؛
فيتولد منه الشوق، وتارة يذكره بإسدائه النعم والخيرات، ودفعه البلاء

والمضرات؛ فيتولد منه الشكر، وتارة بالكمال والجمال؛ فيتولد منه المحبة، وتارة يذكر بأنه الذي له الأمر والملك والخلق والإيجاد والإبداع والضر والنفع، وأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد؛ فيتولد منه الصبر، وتارة يذكره بأنه الكافي في المهمات، المتكفل بالأرزاق، بيده المنع والعطاء، ولا يكون إلا ما أراده وقدره؛ فيتولد منه التوكل، وتارة يذكره بما نصب من الأدلة والعلامات والشواهد والآيات؛ فيتولد منه زوائد اليقين.

فصل

أما النوع الأول والثالث من الذكر؛ فلا شك أن صاحبه مثاب.

قال الحافظ^(١): الذكر يقع تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق، ولا يشترط استحضاره لمعناه، ولكن يشترط أن لا يقصد به غير معناه، وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب؛ فهو أكمل، فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم لله تعالى ونفي النقائص عنه؛ ازداد كمالاً، فإن وقع ذلك في عمل صالح مهما فرض؛ من صلاة أو جهاد أو غيرهما؛ ازداد كمالاً، فإن صح التوجه وأخلص لله تعالى في ذلك؛ فهو أبلغ الكمال. اهـ.

وأما النوع الثاني من الذكر؛ فلا ثواب فيه^(٢)، ولا أصل له في

(١) «فتح الباري» (١١ / ٢٠٩). وانظر: «المرقاة» (٥ / ١٠)، و«الفتوحات الربانية» لابن علان (١ / ١٠٨)، و«مدارج السالكين» (١ / ٣٣١)، و«الوابل الصيب» (ص ١١٤ و ١١٥)، و«الاستقامة» (٢ / ١٧).

(٢) وبهذا قال القاضي عياض، وأقره البلقيني، ووافقهما الهيثمي في «شرح المشكاة»؛ فقال: «قد يقال: إن أريد الثواب من حيث اللفظ؛ فالأصح عدمه، أو من حيث =

الشرع، كما أخبرني به العلامة الألباني.

وقال النووي^(١): اعلم أن الأذكار المشروعة في الصلاة وغيرها - واجبة كانت أو مستحبة - لا يحسب شيء منها ولا يعتد به حتى يتلفظ به، بحيث يُسمع نفسه إذا كان صحيح السمع لا عارض له^(٢).

وأما النوع الرابع؛ ففيه ثواب بلا ريب؛ إذ هو نوع من الفكر، وإن كان دون النوع الخامس؛ لاشتراك القلب واللسان في هذا.

فصل

قال ابن القيم^(٣): الذكر أنواع:

الأول: ذكر أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته، والثناء عليه بهما، وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالى، بإنشاء الثناء بهما من الذاكر، نحو: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

الثاني: الخبر عن الرب تعالى بأحكام أسمائه وصفاته، نحو قولك: الله عز وجل يسمع أصوات عباده، ويرى حركاتهم، ولا تخفى عليه خافية من أعمالهم، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم، ونحو ذلك.

= المعنى واشتغال النفس به؛ فالحق الثواب. «الفتوحات الربانية» (١ / ١٠٧).

(١) «الأذكار» (ص ٧).

(٢) وذهب مالك رحمه الله إلى الاكتفاء بحركة اللسان بالأحرف دون إسماع النفس،

وهو الحق - إن شاء الله -؛ لأنه يقع عليه مسمى الكلام والقراءة، ويمثل هذا قال

شيخ الإسلام. انظر: «مختصر الفتاوى المصرية» (ص ٤٣).

(٣) «الوابل الصيب» (ص ١١٢) مختصراً وبتصرف يسير.

الثالث: ذكر أمر الله تعالى ونهيه وأحكامه؛ إخباراً عنه بأنه أمر بكذا، ونهى عن كذا، وأحب كذا، وسخط كذا، ورضي كذا.

الرابع: ذكر الله تعالى عند أمره بالمبادرة إليه، وعند نهيه بالهرب منه.

الخامس: ذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وأياديه ومواقع فضله على عبده.

قال: فهذه خمسة أنواع، وهي تكون بالقلب واللسان تارة، وذلك أفضل الذكر، وبالقلب وحده تارة، وهي الدرجة الثانية، وباللسان وحده تارة، وهي الدرجة الثالثة.

وقال في «الفوائد»^(١): أفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده.

وقال حسنين مخلوف^(٢): وذكر العبد ربه عز وجل يكون باللسان وبالجنان والجوارح، ويحصل (الأول) بالنطق بما يدل على تنزيهه تعالى وتمجيده وتعظيمه وتحميده.

و (الثاني) بالتفكر في دلائل وحدانيته تعالى في ذاته العلية، وصفاته السنية، وأفعاله الحكيمة، وفي دلائل التكاليف الإلهية بالأوامر والنواهي، وفي الوعد والوعيد والمثوبة والعقوبة؛ حتى يكون العبد على يقين في دينه اعتقادات وأعمالاً؛ فيقبل على الطاعات، ويحجم عن المحظورات، ببصيرة نافذة، وإخلاص تام، وقلب سليم، وعلم

(١) (ص ٢٤٧).

(٢) «أسماء الله الحسنى» (ص ١١ و ١٢).

ويقين، وبالتفكر في عظم المخلوقات، وما فيها من أسرار ودلائل وحكم؛ حتى يعلم قدرة صانعها وحكمته، ويشرق في قلبه نور العلم والمعرفة والحكمة والهداية.

و(الثالث) بالاستغراق في فعل الطاعات مع اجتناب جميع المنكرات؛ فلا يشغل جوارحه بغير ما فيه رضا مولاه.

قال الحافظ^(١): قال الفخر الرازي: المراد بذكر اللسان: الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد. والذكر بالقلب: التفكير في أدلة الذات والصفات، وفي أدلة التكاليف من الأمر والنهي؛ حتى يطلع على أحكامها، وفي أسرار مخلوقات الله. والذكر بالجوارح: هو أن تصير مستغرقة في الطاعات، ومن ثم سَمِيَ اللهُ الصلاة ذكراً؛ فقال: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٢).

قال: ونقل عن بعض العارفين: الذكر على سبعة أنحاء؛ فذكر العينين بالبكاء، وذكر الأذنين بالإصغاء، وذكر اللسان بالثناء، وذكر اليدين بالعطاء، وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضاء.

وقال القاضي عياض^(٣): ذكر الله تعالى ضربان: ذكر بالقلب، وذكر باللسان.

وذكر القلب نوعان:

(١) «الفتح» (١١ / ٢٠٩). وانظر: «التفسير الكبير» (٢ / ١٥٨ و ١٥٩).

(٢) الجمعة: ٩.

(٣) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٧ / ١٦).

أحدهما - وهو أرفع الأذكار وأجلها -: الفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في سماواته وأرضه .

والثاني : ذكره بالقلب عند الأمر والنهي ؛ فيمثل ما أمر به ، ويترك ما نهى عنه ، ويقف عما أشكل عليه .

وأما ذكر اللسان مجرداً ؛ فهو أضعف الأذكار . اهـ .

وقال المراغي^(١) : وذكر اللسان وحده دون ذكر القلب وملاحظة معاني القول لا يجدي نفعاً ؛ فكم رأينا من ذوي الأوراد والأدعية الذين يذكرون الله كثيراً بالمئين والآلاف ولا يفيدهم ذلك معرفة بالله ولا مراقبة له ؛ لأن ذلك أصبح عادة لهم تصحبها عادات أخرى منكرة ، ومن ثم كان الواجب الجمع بين ذكر القلب وذكر اللسان . اهـ .

(تنبيه) : إياك وترك الذكر باللسان ؛ لعلمك أنه أضعف الأذكار ، أو خوفاً من الرياء^(٢) ، أو طلباً لمواطأة القلب له ، بل اذكر بلسانك مخلصاً في ذلك ، مجتهداً في حضور قلبك ، مستعيناً بالله عز وجل .

واعلم أن ذكر اللسان مجرداً وإن كان أضعف الأذكار ؛ فإنه ذكر شريف ، وسبب لحبس اللسان عن الفحش والغيبة وسائر آفات اللسان ، وهو أيضاً طريق موصل لتحقيق ذكر القلب ؛ فإن العبد لا يزال يحرك لسانه بذكر الله تعالى حتى يفتح الله عليه ويوفقه لاستحضار معنى ما يقول وتدبره ، حتى يصل إلى الحضور التام والتعظيم والإجلال للمذكور

(١) «تفسيره» (٩ / ١٥٦) .

(٢) قال النووي في «الأذكار» (ص ٦) : «لا ينبغي أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن يُظن به الرياء ، بل يذكر بهما جميعاً ، ويقصد وجه الله تعالى» .

سبحانه وتعالى.

وقال بعضهم^(١): لا تترك الذكر لعدم حضورك فيه مع الله؛ لأن غفلتك عن ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره؛ فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، وما ذلك على الله بعزيز.

وقال ابن القيم^(٢): وذكر الله على الغفلة وعلى كل حال خير من نسيانه بالكلية، والألسن متى تركت ذكر الله - الذي هو محبوبها - اشتغلت بذكر ما يبغضه ويمقت عليه.

وقال شيخ الإسلام^(٣): والذكر يكون بلسان الإنسان، ولكن يكون لقلبه من ذلك نصيب؛ إذ الأعضاء لا تتحرك إلا بإرادة القلب، لكن قد تكون الغفلة غالبية عليه، وذلك الكلام خير من العدم، والله يحبه ويأمر به.



(١) انظر: «الفتوحات الربانية» (١ / ١٠٩).

(٢) «مدارج السالكين» (٣ / ٤٥).

(٣) «الاستقامة» (٢ / ١٧).

فصل في روح الذكر

اعلم أن حضور القلب في العبادة من ذكر وغيره هو روحها، فكما أنه لا حياة للجسد بلا روح؛ كذلك كل عبادة لا حضور فيها فإنها ميتة لا روح فيها.

وأعني بحضور القلب: تنبيه لعظمة الله تعالى وجلاله، واستشعاره لمراقبته، مع تدبر معنى ما يجريه على لسانه من تلاوة وذكر، وهو النوع السادس من أنواع الذكر التي قدمنا.

قال شاه ولي الله^(١): روح الصلاة: هي الحضور مع الله، والاستشراق للجبروت، وتذكر جلال الله، مع تعظيم ممزوج بمحبة وطمأنينة.

وروح الذكر: الحضور والاستغراق في الالتفات إلى الجبروت. وقال النووي^(٢): المراد من الذكر حضور القلب؛ فينبغي أن يكون هو مقصود الذاكر؛ فيحرص على تحصيله، ويتدبر ما يذكر، ويتعقل

(١) «حجة الله البالغة» (٢ / ٦٧).

(٢) «الأذكار» (ص ٩).

معناه، فالتدبر في الذكر مطلوب كما هو مطلوب في القراءة؛
لاشتراكهما في المعنى المقصود.

وقال ابن سعدي^(١): الصلاة والقراءة والذكر وغيرها من العبادات
إذا كانت بقوة حضور قلب وإيمان كامل؛ فلا ريب أن بينها وبين عبادة
الغافل درجات تنقطع دونها أعناق المطي.

وقال^(٢): وذكر الله تعالى أفضل ما توطأ عليه القلب واللسان،
وهو الذي يثمر معرفة الله ومحبه وكثرة ثوابه.

وقال ابن القيم^(٣): أفضل الذكر ما توطأ عليه القلب واللسان،
وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده؛ لأن ذكر
القلب يورث المعرفة، ويهيج المحبة، ويشير الحياء، ويبعث على
المخافة، ويدعو إلى المراقبة، ويَزَعُ عن التقصير في الطاعات والتهاون
في المعاصي والسيئات، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئاً من هذه
الآثار، وإن أثمر شيئاً منها؛ فثمره ضعيفة.

وقال^(٤): إذا صار الذكر شعار القلب، بحيث يكون هو الذاكر
بطريق الأصالة، واللسان تبع له؛ فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة ويفني
الفاقة؛ فيكون صاحبه غنياً بلا مال، عزيزاً بلا عشيرة، مهيباً بلا
سلطان.

(١) «تيسير اللطيف المنان» (ص ١٨٩).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (١ / ١٨٦ - ط المدني).

(٣) «الوابل الصيب» (ص ١١٥).

(٤) «الوابل» (ص ٨١).

وقال سيّد قطب^(١): ذكر الله إن لم يرتعش له الوجدان، وإن لم يخفق له القلب، وإن لم تعش به النفس، إن لم يكن مصحوباً بالتضرع والتذلل والخشية والخوف؛ لن يكون ذكراً، بل قد يكون سوء أدب في حق الله سبحانه، إنما هو التوجه إلى الله بالتذلل والضراعة والخشية والتقوى، إنما هو استحضار جلال الله وعظمته، واستحضار المخافة لغضبه وعقابه، واستحضار الرجاء فيه، والالتجاء إليه. اهـ.

وقد تقدم قول القرطبي: أن أصل الذكر التنبه بالقلب للمذكور والتمعن له.

وقال ابن الجوزي^(٢): الذكر له شرطان: حضور القلب في تحريره، وبذل الجهد في تكثيره، فإن أحببت أن تكون في الراسخين الأقدام في هذا المقام؛ فحرر الذكر على الإحسان، وكثره بقدر الإمكان.

وقال^(٣): تأملت على أكثر الناس عباداتهم؛ فإذا هي عادات، فأما أرباب اليقظة؛ فعادتهم عبادة حقيقية، فإن الغافل يقول: سبحان الله عادة، والتميقظ لا يزال فكره في عجائب المخلوقات، أو عظمة الخالق، فيحركه الفكر في ذلك، فيقول: سبحان الله!

ولو أن إنساناً تفكر في رمانة، فنظر في تصفيف حبها، وحفظه بالأغشية لئلا يتضاءل، وإقامة الماء على عظم العجم، وجعل الغشاء

(١) «في ظلال القرآن» (١ / ٧٢٤).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص ٥٩).

(٣) «صيد الخاطر» (ص ٣٩٧).

عليه يحفظه، وتصوير الفرخ في بطن البيضة، والآدمي في حشا الأم... إلى غير ذلك من المخلوقات؛ أزعجه هذا الفكر إلى تعظيم الخالق، فقال: سبحان الله! وكان هذا التسبيح ثمرة الفكر؛ فهذا تسبيح المتيقظين.

وما تزال أفكارهم تجول، فتقع عباداتهم بالتسيحات محققة، وكذلك يتفكرون في قبائح ذنوب قد تقدمت، فيوجب ذلك الفكر قلق القلب وندم النفس، فيثمر ذلك أن يقول قائلهم: أستغفر الله، فهذا هو التسبيح والاستغفار.

فأما الغافلون؛ فيقولون ذلك عادة، وشتان ما بين الفريقين!!

وقال^(١): من الذاكرين من غلب على قلبه حبه للمذكور؛ فلا يزال في الذكر والتعبد، ومن الذاكرين من صار الذكر له إلفاً لا عن كلفة، فما له هم غيره؛ فهو يذكر أبداً على جهة الحضور.

(فائدة): قال ابن الجوزي: أول ما يحتاج إليه العازم على ذكر الله التفرغ من الشواغل الظاهرة، ثم تسكين جوارح البدن عن الحركات الشاغلة، ثم قطع الفكر عن قلبه، ثم إشعار نفسه عظمة ما قد عزم عليه من ذكر ربه، ثم است فراغ الوسع في تجويد الذكر، ثم إطالة المجلس ما أمكنه إطالته، ثم التحفظ بالحالة التي استفادها قلبه من الرقة باجتناب الملهيات من حيث يقوم عن الذكر إلى أن يعود إليه؛ فهذه الشرائط السبع من رعاها حق الرعاية؛ بلغ من مراد الذاكرين أقصى الغاية. اهـ.

(١) انظر: «التبصرة» (٢ / ٣٠٦ و ٣٠٧).

وللأخضري^(١):

وَاعْلَمْ بَأَنَّ طُرُقَ التَّطَهِيرِ	كَثِيرَةٌ عِنْدَ ذَوِي التَّوْبِ
أَقْرَبُهَا نَفْعاً طَرِيقُ الذُّكْرِ	بِسُرْعَةٍ يُزِيلُ كُلَّ شَرٍ
لَكِنْ بِشَرْطِ الْخَوْفِ وَالْحُضُورِ	مَعَ ادِّكَارِ هَيْئَةِ الْمَذْكُورِ
فَمَنْ تَكَ الْغَفْلَةُ وَالْأَمَانُ	فِي ذِكْرِهِ حَاجِبَهُ الشَّيْطَانُ
وَحَالَ بَيْنَهُ وَيَّيْنِ رَبِّهِ	بَقَذْفِهِ وَسَاوِسَ فِي قَلْبِهِ
وَاجْتَدَتْ بِقَلْبِهِ غِشَاوَةٌ	فَلَمْ يَذُقْ بِالذُّكْرِ مِنْ حَلَاوَةٍ

وفي هذا المعنى قال ابن الجوزي^(٢): لا تطمعوا في وجدان حلاوة الذكر، وقلوبكم مشغولة بوسواس الفكر، كيف يكون حبيب الرحمن مَنْ هو للشيطان سمير؟! كيف يطمع في الوصول مَنْ لا يَجِدُ في المسير؟! الم

ثم قال الأخضري:

كَمْ بَاذِلٍ قَوَاهُ فِي الْأَذْكَارِ	وَلَمْ يَجِدْ لِلذُّكْرِ مِنْ ثَمَارِ
وَذَاكَ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ	يَهِيْجُ بِالْغَفْلَةِ وَالْأَمَانِ
فَعَالِجِ الْخَوَاطِرِ الرَّدِيَّةِ	بِالدَّفْعِ فَهِيَ حُجُبٌ قَوِيَّةِ
هَيْهَاتَ أَنْ يَطْمَعَ فِي الْإِنْبَارِ	مَنْ قَلْبُهُ فِي الْهَذْيَانِ جَارِي
هَلْ يَزْتَقِي بِسُلْمِ الْمَعَالِي	مَنْ قَلْبُهُ فِي عَالَمِ الْخَيَالِ

(١) «مجموعة الرسائل المنبرية» (آخر الجزء الرابع).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص ١١٨).

لَنْ يَسْتَقِيمَ الْقَلْبُ لِلتَّوَجِيهِ
 كَيْفَ يَصِيحُ فَتَحُ بَابِ الْقُدْسِ
 لَنْ يَصِلَ الْعَبْدُ إِلَى مَوْلَاهُ
 حَتَّى إِذَا نَهَارَهُ تَجَلَّى
 مَا دَامَ هَذَا الْهَذْيَانُ فِيهِ
 مَا دَامَ فِي الْقَلْبِ غُبَارُ النَّفْسِ
 مُدَّةَ مَا لَيْلُ الْهَوَى يَغْشَاهُ
 يَفْتَحُ بَابِ الْمَلَكُوتِ الْأَعْلَى
 وقال:

فَمَنْ يَكُنْ مُشْتَهَرًا بِالدُّكْرِ
 جَرَى لِسَانُهُ عَلَى الْأَذْكَارِ
 حَتَّى إِذَا مُزِجَتِ الْأَذْكَارُ
 تَأَنَّسَ الْقَلْبُ بِذِكْرِ اللَّهِ
 فَشَرَطَهُ مِنْ خَشْيَةٍ وَفِكْرِ
 وَمَطَرَتْ سَحَابُ الْأَنْوَارِ
 بِالْقَلْبِ وَاسْتَنَارَتِ الْأَفْكَارُ
 وَصَارَ طُولَ الدَّهْرِ غَيْرُ سَاهٍ

الباب الثاني

الفصل الأول: في الأمر بذكر الله تعالى

والتحذير من الغفلة.

الفصل الثاني: في الذكر الكثير.

الفصل الأول

في الأمر بذكر الله تعالى والتحذير من الغفلة

قال الله تعالى آمراً رسوله ﷺ والأمة تبعاً له:

﴿وَأَذْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾^(١).

قال الزمخشري^(٢): ﴿واذكر اسم ربك﴾، ودم على ذكره في ليلك ونهارك، واحرص عليه، وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب: تسبيح، وتهليل، وتكبير، وتمجيد، وتوحيد، وصلاة، وتلاوة قرآن، ودراسة علم، وغير ذلك مما كان رسول الله ﷺ يستغرق به ساعة ليله ونهاره، ﴿وتبتل إليه﴾؛ وانقطع إليه.

وقال أبو السعود^(٣): أي: وانقطع إليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة في مراقبته.

وقال القاسمي^(٤): أي: أخلص إليه بتجريد النفس عن غيره

(١) المزمّل: ٨.

(٢) «الكشاف» (٤ / ١٥٣).

(٣) «إرشاد العقل السليم» (٥ / ٧٨٤).

(٤) «محاسن التأويل» (١٦ / ٣٢٠).

إخلاصاً عظيماً.

وفي «مدارج السالكين»^(١): التبتل يجمع أمرين: اتصالاً وانفصالاً، لا يصح إلا بهما:

فالانفصال: انقطاع قلبه عن حظوظ النفس المزاحمة لمراد الرب منه، وعن التفات قلبه إلى ما سوى الله؛ خوفاً منه، ورغبة فيه، أو مبالاة به، أو فكراً فيه، بحيث يشغل قلبه عن الله.

والاتصال لا يصح إلا بعد هذا الانفصال، وهو اتصال القلب بالله، وإقباله عليه، وإقامة وجهه له؛ حباً وخوفاً ورجاءً وإنابة وتوكلًا. اهـ.
وقال الشاعر^(٢):

تَبَتَّلْتُ رُوحِي لَكُمْ فِي الْحُبِّ تَبَّ سَبِيلًا مُرْتَلًّا ذِكْرُكُمْ بِالْمَدْحِ تَرْتِيلًا

فصل

قال الله عز وجل: ﴿وَاذْكُرْ أَمْرَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(٣).

قال ابن سعدي^(٤): أي: أول النهار وآخره؛ فدخل في ذلك الصلوات المكتوبات، وما يتبعها من النوافل والذكر والتسبيح والتهليل والتكبير في هذه الأوقات.

(فائدة): قال شيخ الإسلام^(٥): وما في القرآن من قوله: ﴿وَاذْكُرْ

(١) (٢ / ٣٠).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص ٣٨).

(٣) الإنسان: ٢٥.

(٤) «تيسير الكريم الرحمن» (٥ / ٣٥٠).

(٥) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٢٢٩). وانظر: (ص ٥٦٢).

أَسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿١﴾، وقوله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(١)، وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾^(٢)، وقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^(٣)، ونحو ذلك لا يقتضي ذكره مفرداً^(٤).

قال: فتسبيح اسم ربه الأعلى وذكر اسم ربه ونحو ذلك هو بالكلام التام المفيد.

وقال^(٥): المشروع في ذكر الله سبحانه هو ذكره «بجملة تامة»، وهو المسمى بالكلام، والواحد منه بالكلمة، وهو الذي ينفع القلوب، ويحصل به الثواب والأجر والقرب إلى الله، ومعرفته ومحبته وخشيته، وغير ذلك من المطالب العالية والمقاصد السامية. وأما الاختصار على «الاسم المفرد» مظهراً أو مضمراً^(٦)؛ فلا أصل له، فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين، بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات، وذريعة إلى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد.

وقال: ولو كرر الإنسان اسم «الله» ألف ألف مرة؛ لم يصّر بذلك

(١) الأعلى: ١.

(٢) الأعلى: ١٤ و ١٥.

(٣) الواقعة: ٧٤ و ٩٦.

(٤) أي: أن يقول الذاكر: الله الله...

(٥) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٢٣٣).

(٦) مضمراً: قولهم: هو هو... قال شيخ الإسلام (١٠ / ٥٥٦): «فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سنة، ولا هو مأثور أيضاً عن أحد من سلف الأمة، ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم، وإنما لهج به قوم من ضلال المتأخرين».

مؤمناً، ولم يستحق ثواب الله ولا جنته . اهـ.

وقال الأخضري^(١):

وَمِنْ شُرُوطِ الذِّكْرِ أَنْ لَا يُسْقِطَا	بَعْضَ حُرُوفِ الْأَسْمِ أَوْ يُقَرِّطَا
فِي الْبَعْضِ مِنْ مَنَاسِكِ الشَّرِيعَةِ	عَمْدًا فِتْلَكَ بِدَعَةٍ شَنِيعَةٍ
وَالرَّقْصُ وَالصُّرَاخُ وَالتَّصْفِيقُ	عَمْدًا بِذِكْرِ اللَّهِ لَا يَلِيقُ
وَأِنَّمَا الْمَطْلُوبُ فِي الْأَذْكَارِ	الذِّكْرُ بِالْخُشُوعِ وَالْوَقَارِ
وغيرُ ذَا حَرَكَةٍ نَفْسِيَّةٍ	إِلَّا مَعَ الْغَلْبَةِ الْقَوِيَّةِ
فَوَاجِبُ تَنْزِيهِ ذِكْرِ اللَّهِ	عَلَى اللَّيْبِ الذَّاكِرِ الْأَوَّاهِ
عَنْ كُلِّ مَا تَفَعَّلَهُ أَهْلُ الْبِدْعِ	وَيُقْتَدَى بِفِعْلِ أَرْبَابِ الْوَرَعِ
فَقَدْ رَأَيْنَا فِرْقَةً إِنْ ذَكَرُوا	تَبَدَّعُوا وَرَبُّمَا قَدْ كَفَرُوا
وَصَنَعُوا فِي الذِّكْرِ صُنْعًا مُتَكَرًّا	صَغْبًا فَجَاهِدَهُمْ جِهَادًا أَكْبَرًا
خَلُّوا مِنْ اسْمِ اللَّهِ حَرْفَ الْهَاءِ	فَالْحَدُّوا فِي أَعْظَمِ الْأَسْمَاءِ
لَقَدْ أَتَوْا وَاللَّهِ شَيْئًا إِذَا	تَخَرَّ مِنْهُ الشَّامِخَاتُ هَذَا
وَالْأَلِفُ الْمَخْذُوفُ قَبْلَ الْهَاءِ	قَدْ أَسْقَطُوهُ وَهُوَ ذُو إِخْفَاءِ
وَعَرَّهُمْ إِنْقِاطُهُ فِي الْخَطِّ	وَكُلُّ مَنْ يَتْرُكُهُ فَمُخْطِئِي
قَدْ غَيَّرُوا اسْمَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا	وَزَعَمُوا نَيْلَ الْمَرَاتِبِ الْعُلَا
تَغَرَّهُمْ مَذَاقَةُ طَبِيعِيَّةٍ	سَبَّيْهَا حَرَكَةُ نَفْسِيَّةٍ

(١) «مجموعة الرسائل المنيرية» (آخر الجزء الرابع).

فَزَعَمُوا أَنَّ لَهُمْ أَسْرَارًا وَأَنَّ فِي قُلُوبِهِمْ أَنْوَارًا
وَزَعَمُوا أَنَّ لَهُمْ آخِوَالًا وَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا الْكَمَالَ
وَالْقَوْمَ مَا يَذْرُونَ مَا الْآخِوَالُ فَكَوْنُهَا لِمِثْلِهِمْ مُحَالُ
حَاشَا بِسَاطِ الْقُدْسِ وَالْكَمَالِ تَطَوُّهُ حَوَافِرُ الْجُهَّالِ
قَدْ ادَّعَوْا مِنَ الْكَمَالِ مُنْتَهَى يَكِلُ عَنْ تَخْصِيلِهِ أُولُو النُّهَى
وَالْجَاهِلُونَ كَالْحَمِيرِ الْمُوكَفَةِ وَالْعَارِفُونَ سَادَةُ مُشْرِفَةِ
وَهَلْ يُرَى بِسَاحِلِ الْأَنْوَارِ مَنْ لَجَّ فِي بَحْرِ الظَّلَامِ سَارِي
وَقَالَ بَغْضُ السَّادَةِ الْمُتَّبِعَةِ فِي رَجَزٍ يَهْجُو بِهِ الْمُبْتَدِعَةِ
وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ بِالتَّغْيِيرِ وَيَشْطَحُونَ الشَّطْحَ كَالْحَمِيرِ
وَيَنْبَحُونَ النَّبْحَ كَالِكِلَابِ طَرِيقُهُمْ لَيْسَتْ عَلَى الصَّوَابِ

فصل

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾^(١).

قوله تعالى: ﴿واذكر ربك في نفسك﴾ عام في الأذكار؛ من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك. قاله الزمخشري^(٢).

والمراد بذكر الله في نفسه؛ كونه عارفاً بمعاني الأذكار التي يقولها بلسانه، مستحضراً لصفات الكمال والعز والعلو والجلال والعظمة.

(١) الأعراف: ٢٠٥.

(٢) «الكشاف» (٢ / ١١١).

أفاده الرازي^(١).

وقال البغوي^(٢): قال مجاهد وابن جريج: أمر أن يذكره في الصدور، وبالتضرع إليه في الدعاء والاستكانة، دون رفع الصوت والصياح بالدعاء.

وقال ابن كثير^(٣): اذكر ربك في نفسك رغبة ورهبة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ﴾؛ قال الزمخشري^(٤): ومتكلاً كلاماً دون الجهر؛ لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص، وأقرب إلى حسن التفكير.

وفي تفسير الآية قال المراغي^(٥): أي: واذكر ربك الذي خلقك ورباك بنعمه في نفسك؛ بأن تستحضر معنى أسمائه وصفاته وآلاته وفضله عليك، وحاجتك إليه؛ متضرعاً له، خائفاً منه، راجياً نعمه، واذكره بلسانك مع ذكره في نفسك ذكراً دون الجهر برفع الصوت من القول، وفوق التخافت والسر، بل ذكراً قصداً وسطاً. اهـ.

وفي هذه الآية ذكر الله تعالى آداباً لذكره؛ كما قال القاسمي^(٦):

الأول: أن يكون في نفسك؛ لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص،

(١) «التفسير الكبير» (١٥ / ١١٠)

(٢) «معالم التنزيل» (٢ / ٥٩٢).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٢ / ٢٨١).

(٤) «الكشاف» (٢ / ١١١).

(٥) «تفسيره» (٩ / ١٥٦).

(٦) «محاسن التأويل» (٧ / ٣٣٢ - ٣٣٣) مختصراً.

وأقرب إلى الإجابة، وأبعد من الرياء.

الثاني: أن يكون على سبيل التضرع، وهو التذلل والخضوع والاعتراف بالتقصير؛ ليتحقق بذلة العبودية لعزة الربوبية.

الثالث: أن يكون على وجه الخيفة؛ أي: الخوف والخشية^(١) من سلطان الربوبية وعظمة الألوهية من المؤاخذه على التقصير في العمل؛ لتخشع النفس، ويخضع القلب.

الرابع: أن يكون دون الجهر؛ لأنه أقرب إلى حسن التفكير.

الخامس: أن يكون باللسان لا بالقلب وحده، وهو مستفاد من قوله: ﴿ودون الجهر﴾.

السادس: أن يكون بالغدو والآصال؛ أي: في البكرة والعشي؛ فتدل الآية على مزية هذين الوقتين^(٢)؛ لأنهما وقت سكون ودعة وتعب واجتهاد، وما بينهما الغالب فيه الانقطاع إلى أمر المعاش. اهـ.

وقال ابن سعدي^(٣): وهذه من الآداب التي ينبغي للعبد أن يراعيها حق رعايتها، وهي: الإكثار من ذكر الله أثناء الليل والنهار، خصوصاً طرفي النهار، مخلصاً، خاشعاً، متضرعاً، متذللاً، ساكناً، متواطئاً عليه

(١) قال ابن سعدي في «تيسير الكريم الرحمن» (٢ / ١٨٥): «علامة الخوف: أن يسمى ويجتهد في تكميل العمل، وإصلاحه، والنصح به».

(٢) قال المراغي (٩ / ١٥٦): «وأجمل الأوقات لهذا الذكر وقتان: أول النهار وآخره؛ لأنهما طرفا النهار، ومن افتتح نهاره بذكر الله واختتمه به؛ كان جديراً بأن يراقب الله ولا ينساه فيما بينهما».

(٣) «التيسير» (٢ / ١٨٦).

قلبه ولسانه، بأدب ووقار، وإقبال على الدعاء والذكر، وإحضار له بقلبه، وعدم غفلة؛ فإن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه^(١). اهـ.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾؛ فقال ابن سعدي^(٢):
الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم؛ فإنهم حرموا خير الدنيا والآخرة، وأعرضوا عن مَنْ كل السعادة والفوز في ذكره وعبوديته، وأقبلوا على مَنْ كل الشقاوة والخيبة في الاشتغال به.

وقال الرازي^(٣): قوله: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ يدل على أن الذكر القلبي يجب أن يكون دائماً، وأن لا يغفل الإنسان لحظة واحدة عن استحضار جلال الله وكبريائه بقدر الطاقة البشرية والقوة الإنسانية.

وعن أَبِي بن كعب رضي الله عنه، عن أبيه؛ قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ! اذْكُرُوا اللَّهَ. يَا أَيُّهَا النَّاسُ! اذْكُرُوا اللَّهَ. يَا أَيُّهَا النَّاسُ! اذْكُرُوا اللَّهَ. جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ». الحديث^(٤).

(١) كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (٣٤٧٩)، والحاكم (١ / ٤٩٣)، وغيرهما؛ عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ لَآهِ». وحسنه الألباني لغيره في «الصحيحة» برقم (٥٩٤).

(٢) «التيسير» (٢ / ١٨٥ - ١٨٦).

(٣) «التفسير الكبير» (١٥ / ١١٤).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٤٥٧)، وقال: «حديث حسن صحيح»، والحاكم (٢ / ٤٢١)، =

قال ابن القيم^(١): الذكر أصل موالاة الله عز وجل ورأسها، والغفلة أصل معاداته ورأسها؛ فإن العبد لا يزال يذكر ربه عز وجل حتى يحبه فيواليه، ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه فيعاديه.

وفي «التذكرة في الوعظ»^(٢):

يا طولَ حُزْنِ الغافِلينا عَنْ ذِكْرِ رَبِّ الْعَالَمِينَا
يا هُضْمَهُمْ يَوْمًا يَرَوْنَ ثَوَابَ ذِكْرِ الذَّاكِرِينَا
سَتَطُولُ حَسْرَتُهُمْ لِمَا كَانُوا بِهِ مُتَشَاغِلِينَا
يَتَحَسَّرُونَ عَلَى فَوَا تٍ مِنْ فِعَالِ الطَّائِعِينَا

فصل

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣).

قال ابن القيم^(٤): عاقبهم على نسيانهم له بأن أنساهم أنفسهم؛ فنسوا مصالحها أن يفعلوها، وعبوبها أن يصلحوها، وحظوظها أن يتناولوها، ومن أعظم مصالحها وأنفع حظوظها: ذكرها لربها وفاطرها، وهي لا نعيم لها ولا سرور ولا فلاح ولا صلاح إلا بذكره وحبه وطاعته

= وهذا لفظه، وصححه، ووافقه الذهبي.

وأخرجه أحمد (٥ / ١٣٦) وغيره، وحسنه الألباني في «الصحيحة» برقم (٩٥٤).

(١) «الوابل الصيب» (ص ٩٠).

(٢) (ص ١٠٣).

(٣) الحشر: ١٩.

(٤) «شفاء العليل» (ص ١٣٥).

والإقبال عليه والإعراض عما سواه، فأنساهم ذلك لما نسوه، وأحدث لهم هذا النسيان نسياناً آخر، وهذا ضد حال الذين ذكروه ولم ينسوه؛ فذكرهم مصالح نفوسهم ففعلوها، وأوقفهم على عيوبها فأصلحوها، وعرفهم حظوظها العالية فبادروا إليها؛ فجازى أولئك على نسيانهم بأن أنساهم الإيمان ومحبة وذكره وشكره، فلما خلت قلوبهم من ذلك؛ لم يجدوا عن ضده محيصاً.

وقال ابن الجوزي^(١): من كثر في الدنيا شغله؛ اسودّ قلبه، وأظلم طريقه، وكثر همّه، ونصب بدنه، وصار مهون الوقت، طائش العقل، معقود اللسان عن الذكر، مقيد الجوارح عن الطاعة، من قلبه في كل واد شعبة، ومن عمره لكل شغل حصّة. اهـ.

وقال الله سبحانه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾^(٢).

قال ابن سعدي^(٣): غفل عن الله؛ فعاقبه بأن أغفله عن ذكره، ﴿واتبع هواه﴾؛ أي: صار تبعاً لهواه، حيث ما اشتتهت نفسه فعله وسعى في إدراكه، ولو كان فيه هلاكه وخسرانه.

وقال شيخ الإسلام^(٤): الغفلة والشهوة أصل الشر. واستدل بالآية.

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص ٥٣).

(٢) الكهف: ٢٨.

(٣) «التيسير» (٣ / ١٥٤).

(٤) «مجموع الفتاوى» (١٤ / ٢٨٩).

وقال ابن القيم^(١): فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل؛ فليُنظر: هل هو من أهل الذكر، أو من الغافلين؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي؟ فإن كان الحاكم عليه هو الهوى، وهو من أهل الغفلة؛ كان أمره فرطاً.

ومعنى الفرط قد فسر بالتضييع؛ أي: أمره الذي يجب أن يلزمه ويقوم به، وبه رشده وفلاحه ضائع قد فرط فيه، وفسر بالإسراف؛ أي: قد أفرط، وفسر بالإهلاك، وفسر بالخلاف للحق، وكلها أقوال متقاربة، والمقصود أن الله سبحانه وتعالى نهى عن طاعة من جمع هذه الصفات؛ فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه، فإن وجده كذلك؛ فليبعد منه، وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله تعالى واتباع السنة، وأمره غير مفروط عليه، بل هو حازم في أمره؛ فليتمسك بغيره.

وقال رحمه الله: وصدأ القلب بأمرين: بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين: بالاستغفار والذكر، فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته؛ كان الصدأ متراكباً على قلبه، وصدؤه بحسب غفلته، وإذا صدأ القلب؛ لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه؛ فيرى الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، ولأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه.

فإذا تراكم عليه الصدأ واسود وركبه الران؛ فسد تصوره وإدراكه؛ فلا يقبل حقاً، ولا ينكر باطلاً، وهذا أعظم عقوبات القلب، وأصل

(١) «الوابل الصيب» (ص ٥١).

ذلك من الغفلة واتباع الهوى؛ فإنهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره. اهـ.

وقال ابن الجوزي^(١): اعلم يا ابن آدم أنك مريض القلب من جهتين:

إحداهما: مخالفتك أمر الله.

والأخرى: غفلتك عن ذكر الله.

ولن تجد طعم العافية حتى تكون على طاعة الله مقيماً، ولذكر الله مديماً؛ فعالج مرض المخالفة بالتوبة، ومرض الغفلة بالإنابة، وإلا؛ فاعلم عما قليل أنك هالك، ومنتقل من أهلك ومالك إلى قبضة ملك مالك.

وقال^(٢): كل العافية في الذكر والطاعة، وكل البلاء في الغفلة والمخالفة، وكل الشفاء في الإنابة والتوبة. اهـ.

وقال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَعْشُ^(٣) عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(٤).

قال سيّد قطب^(٥): وقد مضت مشيئة الله في خلقه الإنسان ذلك، واقتضت أنه حين يغفل قلبه عن ذكر الله يجد الشيطان طريقه إليه

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص ٨٥).

(٢) «التذكرة» (ص ٥٣).

(٣) أي: يتعمى ويتغافل ويعرض. «تفسير ابن كثير» (٤ / ١٢٨).

(٤) الزخرف: ٣٦.

(٥) «في ظلال القرآن» (٧ / ٣٣٣).

فيلزمه، ويصبح له قرين سوء يوسوس له ويزين له السوء، وهذا الشرط وجوابه هنا في الآية يعبران عن هذه المشيئة الكلية الثابتة؛ التي تتحقق معها النتيجة بمجرد تحقق السبب؛ كما قضاه الله في علمه.

وقال ابن الجوزي^(١) : العذاب مصبوب على أهل سخط الله، والسخط حالٌّ على أهل معصية الله، والمعصية لازمة لمن الشيطان له ملازم، وإنما يلزم الشيطان مَنْ عَشِيَ عن ذكر الله؛ فاحذر الغفلة عن ذكر الله؛ فإنها أصل كل بلية، وجالبة كل رزية.

فصل

وقد حذر المبعوث رحمة للعالمين ﷺ من الغفلة تحذيراً شديداً في أحاديث كثيرة جداً، منها ما في «سنن أبي داود»^(٢) وغيره^(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ؛ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةٌ».

قال الألباني^(٤): هذا التشبيه يقتضي تقبيح عملهم كل التقبيح، وما يكون ذلك - إن شاء الله تعالى - إلا فيما هو حرام ظاهر التحريم، والله أعلم. اهـ.

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص ٦٦).

(٢) (رقم ٤٨٥٥).

(٣) منهم الحاكم (١ / ٤٩٢)، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وأقرهما الألباني في «الصحيحة» الحديث (رقم ٧٧).

(٤) «السلسلة الصحيحة» (١ / ١١٩).

وعن أبي هريرة أيضاً من طريق أخرى بلفظ :

«مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا فَلَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ؛ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ^(١)،
وَمَا مِنْ رَجُلٍ مَشَى طَرِيقًا فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ؛ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةٌ،
وَمَا مِنْ رَجُلٍ أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ؛ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةٌ»^(٢).

ومن طريق ثالثة بلفظ :

«مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ؛
إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ؛ فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»^(٣).

قال الألباني^(٤): لقد دل هذا الحديث الشريف وما في معناه على
وجوب ذكر الله سبحانه، وكذا الصلاة على النبي ﷺ في كل مجلس.

ثم قال: فعلى كل مسلم أن يتنبه لذلك، ولا يغفل عن ذكر الله عز
وجل والصلاة على نبيه ﷺ في كل مجلس يقعده، وإلا كان عليه ترة
وحسرة يوم القيامة.

وقال المناوي^(٥): فيتأكد ذكر الله والصلاة على رسوله عند إرادة

(١) أي: تبة وحسرة وندماً.

(٢) أخرجه أحمد (٢ / ٤٣٢)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (رقم ١٧٩ - باب
ذكر الله عز وجل في الطريق)، والحاكم (١ / ٥٥٠)، وغيرهم، وهو في
«الصحيحة» (رقم ٧٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٨٠)، وقال: «حديث حسن صحيح»، والحاكم (١ / ٤٩٦)،
وغيرهما، وهو في «الصحيحة» (رقم ٧٤).

(٤) «السلسلة الصحيحة» (١ / ١١٩).

(٥) «فيض القدير» (٥ / ٤٣٩).

القيام من المجلس، وتحصل السنة في الذكر والصلاة بأي لفظ كان، لكن الأكمل في الذكر: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»^(١)، وفي الصلاة على النبي ﷺ ما في التشهد. اهـ.

وعن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله ﷺ:
«مَا مِنْ سَاعَةٍ تَمُرُّ بِابْنِ آدَمَ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهَا؛ إِلَّا حَسِرَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

وعن أبي موسى رضي الله عنه؛ قال: قال النبي ﷺ:
«مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»^(٣).

قال ابن القيم^(٤): الذاكر في حصن الذكر، فمتى غفل؛ فتح باب الحصن، فولجته العدو^(٥)، فيعسر عليه ويصعب إخراجه.

وقال^(٦): إياك والغفلة عمن جعل لحياتك أجلاً، ولأيامك

(١) وهو مذكور في آخر ورقة من هذا الكتاب، ومخرج بأزيد من هذا اللفظ.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥ / ٣٦١ - ٣٦٢)، والبيهقي في «الشعب» (١ / ٣٩٢ / رقم ٥١١)، وغيرهما، وهو في «صحيح الجامع» (برقم ٥٥٩٦).

(٣) أخرجه البخاري (١١ / ٢٠٨ - «فتح»)، ومسلم (رقم ٧٧٩)، وهذا لفظه، وأخرجه غيرهما.

(٤) «الفوائد» (ص ٢٤٦).

(٥) يعني: الشيطان.

(٦) «الفوائد» (ص ١٢٩).

وأنفاسك أمدًا، ومن كل ما سواه بد، ولا بد لك منه.

وقال^(١): قلوب الغافلين معدن الذنوب، والعقوبات واردة عليها من كل جهة.

وقال^(٢): القلب الغافل مأوى الشيطان؛ فإنه وسواس خناس، قد التقم قلب الغافل، يقرأ عليه أنواع الوسواس والخيالات الباطلة، فإذا تذكر وذكر الله؛ انجمع وانضم وخنس وتضاءل لذكر الله؛ فهو دائماً بين الوسوسة والخنس.

وفي «التذكرة» لابن الجوزي^(٣): إن المعصية إلى الغافل أسرع من انحدار الصخرة إلى المكان السافل.

وفيها^(٤):

يا حَسْرَةَ الْغَافِلِ وَاللَّاهِي	لَا كَانَ مَا يُلْهِى عَنِ اللَّهِ
اطْرَحِ الدُّنْيَا وَأَشْغَالَهَا	لَا كَانَ مَا يُلْهِى عَنِ اللَّهِ
وَلَا تَقُلْ أَهْلِي وَلَا عَشِيرَتِي	لَا كَانَ مَا يُلْهِى عَنِ اللَّهِ
وَلَا تَقُلْ وَلَدِي وَلَا زَوْجَتِي	لَا كَانَ مَا يُلْهِى عَنِ اللَّهِ
وَلَا تَقُلْ دَارِي وَلَا ضَيْعَتِي	لَا كَانَ مَا يُلْهِى عَنِ اللَّهِ
وَلَا تَقُلْ أَرْضِي وَلَا مَوْلَدِي	لَا كَانَ مَا يُلْهِى عَنِ اللَّهِ

(١) «مدارج السالكين» (٢ / ٢١٣).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١ / ١١٢).

(٣) (ص ٣٦).

(٤) (ص ٥١).

ولا تَقُلْ طَبْعِي ولا عَادَتِي لا كَانَ ما يُلْهِى عَنِ اللَّهِ
 ولا تَقُلْ مَالِي ولا قِنِّيَتِي لا كَانَ ما يُلْهِى عَنِ اللَّهِ
 اللَّهُ يُغْنِي عَنِ سِوَاهُ وَسِوَاهُ لا يُغْنِي عَنِ اللَّهِ
 وفيها^(١): لا تقدر على التخلص من بلوى المعصية إلا بالتخلص
 من سجن الغفلة، ولا تتخلص من الغفلة إلا بتضمير البطن، وتفريغ
 القلب، ومواصلة الذكر. اهـ.

وقوله: (تضمير البطن)؛ يعني: تجويعه حتى يضمر؛ أي: ينضم
 ويخف لحمه. واعلم أن الجوع غير محمود إلا ما كان منه شرعياً،
 ونتج عن الاكتفاء بـلقيمات يقمن الصلب، أو عن ترك إعطاء البطن أكثر
 من الثلث، أو عن الصوم، أو نتج عن الإيثار ونحوه.

وقوله: (وتفريغ القلب)؛ يعني: من الاعتقادات الفاسدة،
 والشبهات الزائفة، وسائر الأفكار الشيطانية، والأمراض النفسانية، ولا
 ينفع هذا التفريغ إلا بضده من ملء القلب بالاعتقادات السلفية الإيمانية،
 والعلوم الشرعية المحمدية، والأفكار الدينية، المؤرثة لرفيع المقامات
 والأحوال، الهادية لأحسن الأخلاق والأعمال.

* * *

(١) (ص ٥٤).

الفصل الثاني في الذكر الكثير

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾^(١).

قال ابن كثير^(٢): يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تبارك وتعالى، المنعم عليهم بأنواع النعم وصنوف المنن؛ مما لهم في ذلك من جزيل الثواب وجميل المآب.

وقال البغوي^(٣): قال ابن عباس: لم يفرض الله تعالى فريضة على عباده إلا جعل لها حداً معلوماً، وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر؛ فإنه لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله؛ فلذلك أمرهم به في كل الأحوال، فقال: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾^(٤)، وقال: ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾؛ أي:

(١) الأحزاب: ٤١ - ٤٣.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٤ / ٤٩٤).

(٣) «معالم التنزيل» (٤ / ٤٧٢).

(٤) النساء: ١٠٣.

بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي الصحة والسقم، وفي السر والعلانية.

قال البيضاوي^(١): يغلب الأوقات، ويعم الأنواع، بما هو أهله من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد.

وقال المراغي^(٢): «وسبحوه بكرة وأصيلاً»؛ أي: ونزهوه عما لا يليق به طرفي النهار؛ لأن وقت البكرة وقت القيام من النوم، وهو يعد كأنه حياة جديدة بعد موت، ووقت الأصيل وقت الانتهاء من العمل اليومي؛ فيكون الذكر شكراً له على توفيقه لأداء الأعمال والقيام بالسعي على الأرزاق، فلم يبق إلا السعي إلى ما يقربه من ربه بالعمل للآخرة.

ثم ذكر السبب في هذا الذكر والتسبيح، فقال: «هو الذي يصلي عليكم وملائكته»؛ أي: إن ربكم الذي تذكرونه الذكر الكثير، وتسبحونه بكرة وأصيلاً؛ هو الذي يرحمكم ويشي عليكم في الملأ من عبادته، وتستغفر لكم ملائكته، وفي هذا من التحريض على ذكره والتسبيح له ما لا يخفى.

قال ابن كثير^(٣): هذا تهيج إلى الذكر، أي أنه سبحانه يذكركم؛ فاذكروه أنتم.

وقال أبو السعود^(٤): صلاته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم لها،

(١) «أنوار التنزيل» (٢ / ٢٤٨).

(٢) «تفسيره» (٢٢ / ١٨).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٤ / ٤٩٥).

(٤) «إرشاد العقل السليم» (٤ / ٣٢٤).

وغناه عن العالمين؛ مما يوجب عليهم المداومة على ما يوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه.

وقال ابن القيم^(١): الذكر يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر، ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته؛ فقد أفلح كل الفلاح، وفاز كل الفوز.

ثم قال: فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى ومن ملائكته إنما هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلى النور، فأى خير لم يحصل لهم، وأى شر لم يندفع عنهم؟! فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حرموا من خيره وفضله!

وقال ابن سعدي في تفسير الآيات^(٢): يأمر تعالى المؤمنين بذكره ذكراً كثيراً؛ من تهليل وتحميد وتسبيح وتكبير وغير ذلك، من كل قول فيه قرينة إلى الله، وأقل ذلك أن يلزم الإنسان أورد الصباح والمساء، وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب، وينبغي مداومة ذلك في جميع الأوقات على جميع الأحوال؛ فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل وهو مستريح، وداع إلى محبة الله ومعرفة، وعون على الخير، وكف اللسان عن الكلام القبيح.

«وسبحوه بكرة وأصيلاً»؛ أي: أول النهار وآخره، لفضلهما وشرفهما وسهولة العمل فيهما.

«هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور»

(١) «الوابل الصيب» (ص ٩١).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (٤ / ١٥٧ و ١٥٨).

وكان بالمؤمنين رحيماً؛ أي: من رحمته بالمؤمنين ولطفه بهم أن جعل من صلاته عليهم وثنائه وصلاة ملائكته ودعائهم ما يخرجهم من ظلمات الذنوب والجهل إلى نور الإيمان والتوفيق والعلم والعمل؛ فهذه أعظم نعمة أنعم بها على العباد الطائعين تستدعي منهم شكرها والإكثار من ذكر الله. اهـ.

وعن معاذ رضي الله عنه؛ قال: قلت: يا رسول الله! أوصني.
قال:

«اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وَاعْذُذْ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى، وَادْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَعِنْدَ كُلِّ شَجَرٍ، وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً؛ فَأَعْمَلْ بِجَنِّهَا حَسَنَةً، السِّرُّ بِالسَّرِّ، وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ»^(١).
وقال الشاعر^(٢):

ادْكُرِ اللَّهَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا وَتَبَيَّنْ لِذِكْرِهِ تَبَيُّلًا
ادْكُرِ اللَّهَ ذِكْرَ صَبٍّ مَشُوقٍ واجْعَلِ الذِّكْرَ لِلْوِصَالِ سَبِيلًا
الزِّمِ الذِّكْرَ واتَّخِذْهُ تَجِدَ الذِّكْرَ بِالْوِصَالِ كَفِيلًا
وفي «جامع العلوم والحكم»^(٣): نام بعضهم عند إبراهيم بن أدهم،
قال: فكنت كلما استيقظت من الليل وجدته يذكر الله، فأغتم، ثم
أعزّي نفسي بهذه الآية: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٤).

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠ / ١٧٥ / رقم ٣٧٤). وحسنه الألباني لشواهد
في «الصحيحة» برقم (١٤٧٥).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص ١١٧).

(٣) (ص ٤١٨ و ٤١٩).

(٤) المائدة: ٥٤، والحديد: ٢١، والجمعة: ٤.

وكان أبو مسلم الخولاني كثير الذكر، فرآه بعض الناس فأنكر حاله، فقال لأصحابه: أمجنون صاحبكم؟! فسمعه أبو مسلم، فقال: لا يا أخي، ولكن هذا دواء الجنون.

فصل

وأمر الله سبحانه عباده المؤمنين بعد انقضاء صلاة الجمعة بذكره ذكراً كثيراً؛ من تسبيح وتهليل ونحوه، وذكر عظمته وجلاله وإطلاعه ومراقبته، وسائر أنواع الذكر بحسب الحال؛ فقال سبحانه:

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١).

قال ابن كثير^(٢): أي: حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم اذكروا الله كثيراً، ولا تشغلنكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة.

وقال القاسمي^(٣): أي: اذكروا أمره ونهيه وشرعه دائماً، لتصير ملكة لكم تظهر آثارها على أعمالكم وأخلاقكم، وتفلحوا بسعادة الدارين.

وقال ابن سعدي^(٤): ولما كان الاشتغال بالتجارة مظنة الغفلة عن ذكر الله وطاعته؛ أمر الله بالإكثار من ذكره، فقال: ﴿واذكروا الله

(١) الجمعة: ١٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٣٦٧).

(٣) محاسن التأويل (١٦ / ١٦٢).

(٤) تيسير اللطيف المنان (ص ٥٣).

كثيراً لعلكم تفلحون»؛ أي: في حال قيامكم وقعودكم، وفي تصرفاتكم وأحوالكم كلها؛ فإن ذكر الله طريق الفلاح الذي هو الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب، ومن المناسب في هذا أن يجعل المعاملة الحسنة والإحسان إلى الخلق نصب عينيه، فإن هذا من ذكر الله؛ فكل ما قرب إلى الله فإنه من ذكره، وكل أمر يحتسبه العبد فإنه من ذكره، فإذا نصح في معاملته وترك الغش؛ تقرب في هذه المعاملة إلى الله لأن الله يحبها، ولأنها تمنع العبد من المعاملة الضارة، وكلما سامح أحداً أو حابه في ثمن أو مثنى أو تيسير أو إنظار أو نحوه؛ فإنه من الإحسان والفضل، وهو من ذكر الله. اهـ.

وكذا أمرهم الله تعالى بالذكر الكثير بعد قضاء مناسك الحج؛ فقال سبحانه:

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾^(١).

قال القاسمي^(٢): أي: فأكثرُوا ذكر الله، وابدلوا جهدكم في الشاء عليه وشرح آلائه ونعمائه، كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم بعد قضاء مناسككم.

وقال ابن القيم^(٣): فيه الأمر بالذكر بالكثرة والشدة؛ لشدة حاجة العبد إليه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين؛ فأبي لحظة خلا فيها العبد

(١) البقرة: ٢٠٠.

(٢) «محاسن التأويل» (٣ / ١٦١).

(٣) «الوابل الصيب» (ص ٤٩).

عن ذكر الله عز وجل كانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله . اهـ.

وحت عز وجل عباده المؤمنين المجاهدين على الإكثار من ذكره عند لقاء العدو؛ فقال سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١).

قال ابن القيم^(٢): فأمرهم بالذكر الكثير والجهاد معاً ليكونوا على رجاء من الفلاح.

وقال ابن سعدي^(٣): فالصبر والثبات والإكثار من ذكر الله من أكبر الأسباب للنصر.

وقال القاسمي^(٤): في الآية إشعار بأن على العبد ألا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلباً، وأكثر ما يكون همّاً، وأن يلتجئ إليه عند الشدائد، ويقبل إليه بكلية فارغ البال، واثقاً بأن لطفه لا ينفك عنه في حال من الأحوال.

فصل

وأمر الله تعالى نبيه زكريا عليه الصلاة والسلام - بعد أن ذكر آيته - بالذكر الكثير والتسبيح، فقال له:

(١) الأنفال: ٤٥.

(٢) «الوابل» (ص ٤٩).

(٣) «التيسير» (٢ / ٢٠٦).

(٤) «محاسن التأويل» (٨ / ٧١).

﴿وَأَذْكُرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَتَجِدَ بِالْعِشْيِ وَالْإِبْكَارِ﴾^(١).

قال السيوطي^(٢): فيه الحث على الذكر، وهو من شعب الإيمان.

قال محمد بن كعب: لو رخص الله لأحد في ترك الذكر لرخص لذكرياً؛ لأنه منعه من الكلام.

وقال سبحانه على لسان نبيه موسى عليه الصلاة والسلام:

﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَتَبْتُ سُبْحَكَ كَثِيرًا * وَنَذَرْتُكَ كَثِيرًا﴾^(٣).

قال ابن سعدي^(٤): عَلِمَ عليه الصلاة والسلام أن مدار العبادات كلها والدين على ذكر الله، فسأل الله أن يجعل أخاه معه يتساعدان ويتعاونان على البر والتقوى، فيكثرُ منهما ذكر الله من التسبيح والتهليل وغيره من أنواع العبادات.

وقال الله تعالى له ولأخيه عليهما الصلاة والسلام عندما أمرهما بالذهاب إلى فرعون:

﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾^(٥).

قال ابن سعدي^(٦): أي: لا تفترأ ولا تكسلا عن مداومة ذكري

(١) آل عمران: ٤١.

(٢) «الإكليل» (ص ٦٩).

(٣) طه: ٢٩ - ٣٤.

(٤) «التيسير» (٣ / ٢٣٠).

(٥) طه: ٤٢.

(٦) «التيسير» (٣ / ٢٣٣).

بالاستمرار عليه، والزماء كما وَعَدْتما بذلك: ﴿كَي نَسْبَحَكَ كَثِيرًا
وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾؛ فإن ذكر الله فيه معونة على جميع الأمور يسهلها
ويخفف حملها.

وذم الحق سبحانه الشعراء، ثم قال:

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١).

قال القاسمي^(٢): أي: في شعرهم، بأن كان غالبه في توحيد الله
والثناء عليه والحكمة والموعظة والآداب الحسنة.

وقال ابن كثير^(٣): قيل: معناه: ذكروا الله كثيراً في كلامهم،
وقيل: في شعرهم، وكلاهما صحيح مكفر لما سبق.

فصل

وجعل الله سبحانه الذكر الكثير من جملة الأوصاف العظيمة
الجليلة التي وعد عليها بالمغفرة والأجر العظيم؛ مما لا عين رأت ولا
أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؛ فقال سبحانه:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ
وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ
وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ
وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْخَافِضِينَ وَالْخَافِضَاتِ
وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٤).

(١) الشعراء: ٢٢٧.

(٢) «محاسن التأويل» (١٣ / ٥٢).

(٣) «تفسيره» (٣ / ٣٥٥).

(٤) الأحزاب: ٣٥.

وخص الله عز وجل الاعتبار ببديع مخلوقاته وعظيم صنعها ولطيف
تقلب ليلها ونهارها بأولي الألباب، أهل الذكر الكثير والفكر المنير؛
فقال جل وعلا:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ
* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾^(١).

قال محمد رشيد رضا^(٢): والذكر في الآية على عمومه لا يُخص
بالصلاة، والمراد به ذكر القلوب، وهو ذكر الله تعالى في النفس،
وتذكر حكمه وفضله ونعمه في حال القيام والقعود والاضطجاع، وهذه
الحالات الثلاث التي لا يخلو العبد عنها، والآيات الإلهية لا تظهر من
السموات والأرض إلا لأهل الذكر.

ثم إن ذكر الله لا يكفي في الاهتداء إلى الآيات، ولكن يشترط مع
الذكر التفكير فيها؛ فلا بد من الجمع بين الذكر والفكر، فقد يذكر
المؤمن ربه ولا يتفكر في بديع صنعه وأسرار خليفته، ولذلك قال:
﴿ويتفكرون في خلق السماوات والأرض﴾.

قال: أقول: قد يتفكر المرء في عجائب السماوات والأرض وأسرار
ما فيهما من الإتقان والإبداع والمنافع، الدالة على العلم المحيط
والحكمة البالغة والنعم السابغة والقدرة التامة وهو غافل؛ فالذين
يشتغلون بعلم ما في السماوات والأرض وهم غافلون عن خالقهما،

(١) آل عمران: ١٩٠ و ١٩١.

(٢) «مختصر تفسير المنار» (١ / ٤٦٠ و ٤٦١).

ذاهلون عن ذكره؛ يمتعون عقولهم بلذة العلم، ولكن أرواحهم تبقى محرومة من لذة الذكر ومعرفة الله عز وجل، يعني أن الفكر وحده وإن كان مفيداً لا تكون فائدته نافعة في الآخرة إلا بالذكر، والذكر وإن أفاد في الدنيا والآخرة لا تكمل فائدته إلا بالفكر؛ فيا طوبى لمن جمع بين الأمرين، واستمتع بهاتين اللذتين؛ فكان من الذين أوتوا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، ونجوا من عذاب النار في الآخرة. اهـ.

وقال الغزالي^(١): اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا في لقاء الله تعالى، وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محباً لله تعالى وعارفاً بالله سبحانه، وأن المحبة والأنس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه، وأن المعرفة به لا تحصل إلا بدوام الفكر في أسمائه وصفاته وأفعاله.

ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها، والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة، وكل ذلك لا يتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأذكار والأفكار. اهـ. بتصرف يسير.

وفي «التذكرة في الوعظ»^(٢):

وَإِذْكُرُوا اللَّهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ	وَانظُرُوا كَيْفَ تَذْكُرُونَا
لَا يَتِمُّ الذِّكْرُ حَتَّى تَكُونُوا	كُلَّ مَا فِي وُسْعِكُمْ تَبْذُلُونَا
فَأَذِيبُوا الْأَنْفُسَ فِي طَلَبِ الْعَيْشِ	بِدَارٍ لَا تَرَوْنَ فِيهَا الْعَمَلَا
وَالزَّمُوا ذِكْرَ الْجَلِيلِ فَبِالذِّ	كْرِ إِلَيْهِ وَصَلَ الْوَاصِلُونَا

(١) «الإحياء» (١ / ٣٣٠).

(٢) (ص ١٢١).

وفيها^(١):

اعْبُدُوا اللَّهَ رُكْعاً وَسُجُوداً وَقِيَاماً طَوْرًا وَطَوْرًا قُعُوداً

فصل

وبين الكريم الرحمن سبحانه وتعالى أن شرف الأسوة بالنبي ﷺ،
الجالبة لخير الدنيا والآخرة، الموصلة لرضا الله تعالى وكرامته؛ إنما
يسلكها ويوفق إليها من كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً؛
فقال سبحانه:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ
اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٢).

فصل

والذكر الكثير علامة صادقة على محبة الله تعالى؛ فإن الصادق في
محبته لشيء لا يمكن أن يرى غافلاً عن ذكره، وكلما ازداد محبة له
ازداد ذكراً له ووصفاً لمحامده ومحاسنه، وهذا معلوم لا ينكره عاقل.

قال ابن رجب^(٣): قال إبراهيم الجنيدي: كان يقال: من علامة
المحب لله دوام الذكر بالقلب واللسان، وقلما ولع المرء بذكر الله إلا
أفاد منه حب الله.

وقال ذو النون: من اشتغل قلبه ولسانه بالذكر؛ قذف الله في قلبه

(١) (ص ١٣٧).

(٢) الأحزاب: ٢١.

(٣) «جامع العلوم والحكم» (ص ٤١٧).

نور الاشتياق إليه .

وقال^(١): المحب اسم محبوبه لا يغيب عن قلبه؛ فلو كلف أن ينسى ذكره لما قدر، ولو كُلف أن يكف عن ذكره بلسانه لما صبر .

وقال: كلما قويت المعرفة صار الذكر يجري على لسان الذاكر من غير كلفة .

وقال^(٢): إذا قوي حال المحب ومعرفته لم يشغله عن الذكر بالقلب واللسان شاغل؛ فهو بين الخلق بجسمه وقلبه معلق بالمحل الأعلى، كما قال عليّ في وصفهم: صحبوا الدنيا بأجسادٍ أرواحها معلقة بالمحل الأعلى .

وفي هذا المعنى قيل:

جِسْمِي مَعِيَ غَيْرَ أَنَّ الرُّوحَ عِنْدَكُمْ فَالْجِسْمُ فِي غُرْبَةٍ وَالرُّوحُ فِي وَطَنِ

وقال غيره:

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي الْفُؤَادِ مُحَدَّثِي وَأَبْحَثُ جِسْمِي مَنْ أَرَادَ جُلُوسِي

فَالْجِسْمُ مِنِّي لِلْجَلِيسِ مُؤَانِسٌ وَحَبِيبُ قَلْبِي فِي الْفُؤَادِ أُنِيسِي

أي: يأنس قلبه بمحبته وإجلاله وذكره، والشغل به عمن سواه لا غير .

قال ابن رجب^(٣): قال فتح الموصلي: المحب لا يجد مع حب

(١) «جامع العلوم» (ص ٤١٨) .

(٢) «جامع العلوم» (ص ٤٢٠) .

(٣) «جامع العلوم» (ص ٣٤٢) .

الله للدنيا لذة، ولا يغفل عن ذكر الله طرفه عين.

وقال بعضهم: المحب لله طائر القلب، كثير الذكر، متسبب إلى رضوانه بكل سبيل يقدر عليها من الوسائل والنوافل دأباً وشوقاً.

وقال غيره: إذا ستم البطالون من بطالتهم؛ فلا يسأم محبوبك من مناجاتك وذكرك.

وقال ابن الجوزي^(١): من أحب شيئاً؛ أكثر ذكره، ومن أجلّ أمراً؛ أعظم قدره، ولا حبيب أحب من الله إلى أهل ولايته، ولا جليل أجل من الله عند أهل معرفته؛ فاذكروا الله ذكر المحبين، وأجلّوه لإجلال العارفين.

فصل

والذاكرون الله كثيراً والذاكرات هم أهل السبق؛ كما في «صحيح مسلم»^(٢) و«مسند أحمد»^(٣): عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمر على جبل يقال له جُمْدَانُ، فقال:

«سِيرُوا، هَذَا جُمْدَانُ، سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ». قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال:

«الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ».

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص ١١٩).

(٢) (رقم ٢٦٧٦).

(٣) (٢ / ٤١١).

وفي طريق أخرى أخرجها أحمد^(١) والحاكم^(٢) وغيرهما:

«الَّذِينَ يُهْتَرُونَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

وقوله ﷺ: (المُفَرَّدُونَ)؛ أي: المنفردون.

قال ابن الأثير: يقال: فَرَدَ برأيه، وأفَرَدَ، وفَرَّدَ، واستَفَرَّدَ؛ بمعنى: انفَرَدَ به.

وقوله ﷺ: (يُهْتَرُونَ)؛ أي: يولعون، قال ابن الأثير: أهُتِرَ فلان بكذا واستهتر؛ فهو مهتر به، ومستهتر؛ أي: مولع به لا يتحدث بغيره ولا يفعل غيره.

قال ابن القيم^(٣): عمَّال الآخرة كلهم في مضمار السباق، والذاكرون هم أسبقهم في ذلك المضمار، ولكن القَتَرَةَ والغبار يمنع من رؤية سبقهم، فإذا انجلى الغبار وانكشف؛ رآهم الناس وقد حازوا قصب السبق. اهـ.

والذكر الكثير سبب لاستجابة الدعاء؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ؛ قال:

«ثَلَاثَةٌ لَا يَرُدُّ دَعَاؤُهُمْ: الذَّاكِرُ اللَّهَ كَثِيرًا، وَدَعَاةُ الْمَظْلُومِ، وَالْإِمَامُ الْمُقْسِطُ»^(٤).

(١) «المسند» (٢ / ٣٢٣).

(٢) «المستدرک» (١ / ٤٩٥ - ٤٩٦)، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي، والألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣ / ٣٠٥)، لكن على شرط مسلم وحده.

(٣) «الوابل الصيب» (ص ٩٨ - ٩٩).

(٤) «السلسلة الصحيحة» (١٢١١).

فصل

في تعريف الذكر الكثير

قال ابن الصلاح^(١): إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحاً ومساءً، وفي الأوقات والأحوال المختلفة، في ليل العبد ونهاره، وهي مبينة في كتاب «عمل اليوم والليلة»؛ كان من الذاكرين الله تبارك وتعالى كثيراً.

وقال ابن سعدي^(٢): وأقل ذلك أن يلزم الإنسان أوراد الصباح والمساء، وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب.

وقال الجزري^(٣): والمواظب على الأذكار المأثورة صباحاً ومساءً وفي الأحوال المختلفة هو من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

وقال بعضهم: المؤمن يذكر الله بكلمة؛ لأنه يذكر الله بقلبه، فتسكن جميع جوارحه إلى ذكره، فلا يبقى منه عضو إلا وهو ذاكراً في المعنى، وإن امتدت يده إلى شيء ذكر الله؛ فكف يده عما نهى الله تعالى عنه، وإذا سعت قدمه إلى شيء ذكر الله؛ فوقف عن السعي إلا فيما يرضي الله، وإذا طمحت عينه إلى شيء ذكر الله؛ فغض بصره عن محارم الله، وكذلك سمعه ولسانه وجوارحه مصونة بمراقبة الله تعالى، ومراعاة أمر الله، والحياء من نظر الله تعالى؛ فهذا هو الذكر الكثير، والذكر القليل ذكر المنافقين، يذكرون الله بألسنتهم رثاء الناس وليس

(١) «فتاوى ومسائل ابن الصلاح» (١ / ١٥٠).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (٤ / ١٥٧).

(٣) «عدة الحصن الحصين» (ص ١٧).

في قلوبهم من الذكر شيء، قال الله تعالى: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١)، والذكر المطلوب ذكر القلب، وإنما اللسان طريق إليه، فمن لازم ذكر الله تعالى بلسانه مخلصاً لله تعالى؛ وصلت بركة الذكر إلى قلبه، فعاش قلبه بذكر الله تعالى، فعند ذلك يكون ذكره كثيراً. اهـ.

فصل

ويُلحق بالذاكرين الله كثيراً والذاكرات من قام من الليل وأيقظ زوجه وصلياً معاً ركعتين؛ كما روى أبو سعيد الخدري وأبو هريرة رضي الله عنهما؛ قالوا: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ اسْتَبَقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَصَلَّيَا رَكَعَتَيْنِ جَمِيعاً؛ كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ»^(٢).

قال الشاعر^(٣):

يا حُسْنَهُمُ وَاللَّيْلُ قَدْ جَنَّهُمُ	ونورُهُمُ يَقُوقُ نَوْرَ الْأَنْجَمِ
تَرْتَمُوا بِالذُّكْرِ فِي لَيْلِهِمْ	فَعَيْشُهُمْ قَدْ طَابَ بِالْثَرْتَمِ
قُلُوبُهُمْ لِلذُّكْرِ قَدْ تَفَرَّغَتْ	دُمُوعُهُمْ كُلُّوْهُ مُنْتَظِمِ

(١) النساء: ١٤٢.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٥١)، وابن ماجه (١٣٣٥)، والحاكم (١ / ٣١٦)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وأخرجه ابن حبان (٤ / ١١٩ - «إحسان») وغيره، وصحح إسناده الألباني في «تخريج المشكاة» (١ / ٣٩٠).

(٣) «لطائف المعارف» (ص ١٨٥).

أَسْحَارُهُمْ بِهِمْ لَهُمْ قَدْ أَشْرَقَتْ وَخَلَعُ الْغُفْرَانِ خَيْرُ الْقَسَمِ
وَيُحَكِّ يَا نَفْسُ أَلَا تَيْقُظُ يَنْفَعُ قَبْلَ أَنْ تَزِلَّ قَدَمِي
مَضَى الزَّمَانُ فِي تَوَانٍ وَهَوَى فَاسْتَذِرْ كِي مَا قَدْ بَقِيَ وَاعْتَنِمِي

فصل

وأكمل الناس ذكراً لله عز وجل هو سيد الخلق محمد ﷺ؛ فهو أعلمهم بأسماء من يذكر سبحانه وصفاته وأفعاله وأمره ونهيه، وما يستحق جل وعلا من إجلال وتعظيم وثناء وتمجيد.

ولشدة علمه ﷺ بربه - تقدست أسماؤه - وتمام ذكره له؛ قال:

«لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(١).

وكان ﷺ لا يفتر عن ذكر الله طرفة عين، يذكره قائماً وقاعداً وعلى جنبه بجميع أنواع الذكر؛ فكل أحواله ﷺ كانت ذكراً لله عز وجل: إن نطق فبذكره، وإن سكت فالقلب ذاكر لله تعالى؛ فلا تخلو لحظة من حياته عن ذكر إلهه جل وعلا.

وفي «صحيح مسلم»^(٢) و«السنن الأربعة»^(٣)؛ إلا «النسائي»: عن

(١) أخرجه مسلم (رقم ٤٨٦) وغيره، من حديث عائشة رضي الله عنها؛ قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفرائض، فالتمسته، فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتان، وهو يقول: «اللَّهُمَّ! أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

(٢) (رقم ٣٧٣).

(٣) «سنن أبي داود» (رقم ١٨)، و«الترمذي» (٣٣٨٤)، و«ابن ماجه» (رقم ٣٠٢). =

عائشة رضي الله عنها؛ قالت: كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه.

قال المناوي^(١): (كل أحيانه) أي: أوقاته من مطهراً ومحدثاً وجنباً وقائماً وقاعداً ومضطجعاً وماشياً وراكباً وظاعناً ومقيماً؛ فكان ذكر الله يجري مع أنفاسه.

قال الفيروزآبادي^(٢): يعني: في جميع أوقاته، وكان لا يعوقه شيء عن ذكر الحق سبحانه؛ لأن جميع كلامه كان في ذكر الله، والأمر والنهي والتشريع للأمة؛ وكله ذكر، وبيان الأسماء والصفات وأحكام الله تعالى والوعد والوعيد؛ وكل هذا ذكر، والثناء والدعاء والتمجيد والتحميد والتسبيح والسؤال والترهيب والترغيب؛ بالكلية ذكر الحق سبحانه، وحال سكوته أيضاً كان قلبه وضميره في الذكر؛ فتكون أنفاسه مشتملة على الذكر، وحال قيامه وقعوده ورقوده وذهابه وإيابه وجميع حالاته لا ينفك عن ذكر الله.

وكلام الفيروزآبادي هذا قد نقله عن شيخه ابن القيم وتصرف فيه؛ فإنه قال في «زاد المعاد»^(٣): كان النبي ﷺ أكمل الخلق ذكراً لله عز وجل، بل كان كلامه كله في ذكر الله وما والاه، وكان أمره ونهيه وتشريعه للأمة ذكراً لله، وإخباره عن أسماء الرب وصفاته وأحكامه وأفعاله ووعدته ووعيده ذكراً لله، وثناءه عليه بآلائه وتمجيده وحمده

= والحديث أخرجه أحمد أيضاً (٦ / ٧٠ و ١٥٣) وغيره.

(١) «فيض القدير» (٥ / ٢١٤).

(٢) «سفر السعادة» (ص ١٥٢).

(٣) (٢ / ٣٦٥).

وتسبيحه ذكراً منه له، وسؤاله ودعاؤه إياه ورغبته ورهبته ذكراً منه له، وسكوته وصمته ذكراً منه له بقلبه؛ فكان ذاكراً لله في كل أحيانه وعلى جميع أحواله، وكان ذكره لله يجري مع أنفاسه؛ قائماً وقاعداً وعلى جنبه، وفي مشيه وركوبه، ومسيره ونزوله، وظعنه وإقامته.

وقال في «الوابل»^(١) بعد أن ذكر قول عائشة رضي الله عنها: ولم تستثن حالة من حالة، وهذا يدل على أنه كان يذكر ربه تعالى في حال طهارته وجنابته، وأما في حال التخلي؛ فلم يكن يشاهده أحد يحكي عنه، ولكن شرع لأتمته من الأذكار قبل التخلي وبعده ما يدل على مزيد الاعتناء بالذكر، وأنه لا يُخل به عند قضاء الحاجة وبعدها، وكذلك شرع للأمة من الذكر عند الجماع أن يقول أحدهم: «بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا»^(٢)، وأما عند نفس قضاء الحاجة وجماع الأهل؛ فلا ريب أنه لا يكره بالقلب، لأنه لا بد لقلبه من ذكر، ولا يمكنه صرف قلبه عن ذكر من هو أحب شيء إليه، فلو كلف القلب نسيانه؛ لكان تكليفه بالمحال، كما قال القائل:

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ وَتَأْبَى الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ

فأما الذكر باللسان على هذه الحالة؛ فليس مما شرع لنا، ولا ندبنا إليه رسول الله ﷺ، ولا نقل عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم.

(١) (ص ٨٥).

(٢) أخرجه البخاري في ستة مواضع، أولها (١ / ٢٤٢ - «فتح») وغيره، عن ابن عباس يبلغ النبي ﷺ؛ قال: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أُمَّلَهُ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقَضَى بَيْنَهُمَا وَلَدٌ؛ لَمْ يَضُرَّهُ».

وقال عبد الله بن أبي الهذيل: إن الله تعالى ليحب أن يذكر في السوق، ويحب أن يذكر على كل حال؛ إلا على الخلاء.

ويكفي في هذه الحال استشعار الحياء والمراقبة والنعمة عليه في هذه الحالة، وهي من أجل الذكر؛ فذكر كل حال بحسب ما يليق بها، واللائق بهذه الحال التقنع بثوب الحياء من الله تعالى وإجلاله، وذكر نعمته عليه وإحسانه إليه في إخراج هذا العدو المؤذي له، الذي لو بقي فيه لقتله؛ فالنعمة في تيسير خروجه كالنعمة في التغذي به. انتهى كلام ابن القيم.

فصل

وكما أن الذكر الكثير من صفات أولياء الله تعالى الأبرار والمقربين، المقتدين بهدي سيد المرسلين؛ فخلافه - وهو عدم الذكر بالكلية - من صفات أعداء الله الكافرين، وقلته من صفات إخوانهم المنافقين، الذين قال الله تعالى فيهم:

﴿اسْتَحْذَرُوا الشَّيْطَانَ فَاسْتَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكُمْ ذِكْرَ اللَّهِ وَلِتِلْكَ لِحِزْبِ الشَّيْطَانِ لَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١).

قال الشوكاني^(٢): ﴿استحاذ عليهم الشيطان﴾؛ أي: غلب عليهم واستعلى واستولى. قال المبرد: استحاذ على الشيء: حواه وأحاط به، وقيل: قوي عليهم، وقيل: جمعهم، يقال: أخذ الشيء؛ أي: جمعه وضم بعضه إلى بعض، والمعاني متقاربة؛ لأنه إذا جمعهم فقد قوي

(١) المجادلة: ١٩.

(٢) «فتح القدير» (٥ / ١٩٣).

عليهم وغلبيهم واستعلى عليهم واستولى وأحاط بهم.

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١).

قال ابن سعدي^(٢): ﴿لا يذكرون الله إلا قليلاً﴾؛ لامتلاء قلوبهم من الرياء؛ فإن ذكر الله تعالى وملازمته لا يكون إلا من مؤمن ممتلىء قلبه بمحبة الله وعظمته.

وقال ابن القيم^(٣): كثرة ذكر الله عز وجل أمان من النفاق، فإن المنافقين قليلو الذكر لله عز وجل، والله عز وجل أكرم من أن يبتلي قلباً ذاكراً بالنفاق، وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله عز وجل. اهـ.

وقال الله سبحانه في آخر سورة «المنافقون» محذراً من الاشتغال واللهو عن ذكره بزيينة الحياة الدنيا كما هو حال المنافقين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

(١) النساء: ١٤٢.

(٢) «التيسير» (١ / ٤٣٠).

(٣) انظر: «الوابل الصيب» (١٠٢ و ١٠٣).

الباب الثالث

في فضل ذكر الله تعالى

فضل الذكر

اعلم أن ذكر الله عز وجل خير الأعمال، وأزكاها، وأفضلها عند الله تعالى؛ كما أخبر الرسول ﷺ من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه؛ قال: قال النبي ﷺ:

«أَلَا أُنبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاها عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَّكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَّكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قالوا: بلى. قال: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى»^(١).

قال الحافظ في «الفتح»^(٢) بعد أن ذكر هذا الحديث: وقد أشرت إليه مستشكلاً في أوائل الجهاد^(٣) مع ما ورد في فضل المجاهد أنه كالصائم لا يفطر، وكالقائم لا يفتر^(٤)، وغير ذلك؛ مما يدل على

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠)، والحاكم (١ / ٤٩٦)، وصححه إسناده، ووافقه الذهبي.

وكذا صححه الألباني في «تخريج المشكاة» برقم (٢٢٦٩).

(٢) (١١ / ٢١٠).

(٣) «الفتح» (٦ / ٥).

(٤) أخرجه البخاري (٦ / ٤ - «فتح»)، ومسلم (١٨٧٨)، وغيرهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أفضليته على غيره من الأعمال الصالحة، وطريق الجمع - والله أعلم - أن المراد بذكر الله في حديث أبي الدرداء الذكر الكامل، وهو ما يجتمع فيه ذكر اللسان والقلب؛ بالتفكر في المعنى، واستحضار عظمة الله تعالى، وأن الذي يحصل له ذلك يكون أفضل ممن يقاتل الكفار مثلاً من غير استحضار لذلك، وإن أفضلية الجهاد إنما هي بالنسبة إلى ذكر اللسان المجرد، فمن اتفق له أن جمع ذلك كمن يذكر الله بلسانه وقلبه واستحضاره، وكل ذلك حال صلاته أو في صيامه أو تصدقه أو قتاله الكفار مثلاً؛ فهو الذي بلغ الغاية القصوى، والعلم عند الله تعالى.

وأجاب القاضي أبو بكر بن العربي بأنه: ما من عمل صالح إلا والذكر مشروط في تصحيحه. اهـ.

وقال ابن القيم^(١): الذكر المجاهد أفضل من الذاكر بلا جهاد والمجاهد الغافل، والذاكر بلا جهاد أفضل من المجاهد الغافل عن الله تعالى؛ فأفضل الذاكرين المجاهدون، وأفضل المجاهدين الذاكرون.

وقال^(٢): أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكراً لله عز وجل؛ فأفضل الصوام أكثرهم ذكراً لله عز وجل في صومهم، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكراً لله عز وجل، وأفضل الحاج أكثرهم ذكراً لله عز وجل، وهكذا سائر الأحوال.

(١) «الوابل الصيب» (ص ٤٩).

(٢) «الوابل» (ص ٩٥).

قال ابن جزري في «تفسيره»^(١): اعلم أن الذكر أفضل الأعمال على الجملة، وإن ورد في بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال؛ كالصلاة وغيرها؛ فإن ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى.

وفي «الحلية»^(٢) لأبي نعيم: عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه؛ قال: جاء أعرابيان إلى رسول الله ﷺ، فقال أحدهما: يا رسول الله! أي الناس خير؟ قال:

«طَوْبَى لِمَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسَنَ عَمَلُهُ». وقال الآخر: أي العمل خير؟ قال: «أَنْ تَفَارِقَ الدُّنْيَا وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ».

وفي الحديث: «مَا مِنْ يَوْمٍ وَلَا لَيْلَةٍ إِلَّا لِلَّهِ مَنْ يَمُنُّ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ صِدْقَةً، وَمَا مِنْ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يُلْهِمَهُ ذِكْرَهُ»^(٣).

(فائدة): قال في «موعظة المؤمنين»^(٤): إن قلت: فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها؟

فاعلم أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب، فأما الذكر باللسان والقلب لا؛ فهو قليل الجدوى، وحضور القلب في

(١) (ص ٣٨).

(٢) (٦ / ١١١ - ١١٢). وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٤ / ٤٥١ - ٤٥٢).

(٣) بعض حديث، أخرجه الطبراني في «الكبير»، وحسنه الألباني. انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (١ / ٢٧٩).

(٤) (ص ١٣٧ - ١٣٨) بتصرف.

لحظة في الذكر والذهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضاً قليل الجدوى، بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أو في أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات، بل به تشرف سائر العبادات، وهو غاية ثمرة العبادات العملية.

وقال شيخ الإسلام مجيباً من سأل عن أفضل الأعمال بعد الفرائض^(١): وأما ما سألت عنه من أفضل الأعمال بعد الفرائض؛ فإنه يختلف باختلاف الناس فيما يقدرُونَ عليه وما يناسب أوقاتهم؛ فلا يمكن فيه جواب جامع مفصل لكل أحد، لكن مما هو كالإجماع بين العلماء بالله وأمره: أن ملازمة ذكر الله دائماً هو أفضل ما شغل العبد به نفسه في الجملة - وذكر أدلة من السنة، ثم قال -: والدلائل القرآنية والإيمانية بصرّاً وخبراً ونظراً على ذلك كثيرة. اهـ.

وقال الله تعالى: ﴿ أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِإِسْتِخَارَةِ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾^(٢).

قال شيخ الإسلام^(٣): الصحيح أن معنى الآية: أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان، وأحدهما أعظم من الآخر؛ فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي مشتملة على ذكر الله تعالى، وما فيها من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر.

قلت: ويكفي في بيان أفضلية الذكر ورفعته على سائر الأعمال: ما

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٦٦٠).

(٢) العنكبوت: ٤٥.

(٣) انظر: «الوابل الصيب» (ص ٩٥).

رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ؛ قال:

«إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي،
وَعَافَانِي فِي جَسَدِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ»^(١).

فجعل أول كلامه إذا استيقظ من نومه معافى؛ أن يحمد الله تعالى
أن أرسل روحه وأذن له بذكره؛ فأي فضل لعمل من الأعمال أعظم من
هذا؟!!

فصل

ومن فضائل الذكر: أنه سبب لذكر الله عز وجل للذاكر؛ كما قال
تعالى:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^(٢).

فأي فضل أعظم من هذا، وأي جود أوسع منه؟! الله عز وجل
العظيم الكبير المتعال فوق سبع سماواته يذكر عبده الصغير إذا ذكره؛
فيا أله ما أعظم كرمه وما أجل عطاياه! ويا حسرة الغافل عن ذكر
مولاه!

وفي معنى الآية قال المراغي^(٣): أي: اذكروني بالطاعة بألستكم
بالحمد والتسبيح وقراءة كتابي الذي أنزلته على عبدي، وبقلوبكم
بالفكر في الأدلة التي نصبتها في الكون لتكون علامة على عظمتي

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٠١)، وابن السني (رقم ٩)، وقال الترمذي: «حديث حسن».

وجوّد إسناده الألباني في «تخريج الكلم» تحت الحديث (رقم ٣٤).

(٢) البقرة: ١٥٢.

(٣) «تفسيره» (٢ / ٢٠).

وبرهاناً على قدرتي ووحدانيتي، وبجوارحكم بالقيام بما أمرتكم به واجتناب ما نهيتكم عنه. اهـ.

وقال ابن سعدي^(١): ﴿فاذكروني أذكركم﴾؛ فأمر الله تعالى بذكره ووعد عليه أفضل جزاء، وهو ذكره لمن ذكره.

وقال: الذكر هو رأس الشكر؛ فلهذا أمر به خصوصاً، ثم من بعده أمر بالشكر عموماً؛ فقال: ﴿واشكروا لي﴾؛ أي: على ما أنعمت عليكم بهذه النعم ودفعت عنكم صنوف النقم، والشكر يكون بالقلب إقراراً بالنعم واعترافاً، وباللسان ذكراً وثناءً، وبالجوارح طاعة لله وانقياداً لأمره واجتناباً لنهيه. فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة.

وقال^(٢): ينبغي للعبد كلما أحدث الله له نعمة أحدث لذلك شكراً، وإن أفضل أنواع الشكر: الإكثار من ذكر الله وتسيبحه وتقديسه والثناء عليه.

وقال الشاعر^(٣):

أَفِضُوا بِنَا فِي ذِكْرِ الْمُنْعِمِ فَمَا مَزِيدُ الْخَيْرِ إِلَّا فِي شُكْرِهِ
وَأَعْبِدُوا عَلَيْنَا ذِكْرَ اسْمِهِ فَمَا لَذَّةُ الْعَيْشِ إِلَّا فِي ذِكْرِهِ

وقال الإلبيري لابنه وهو يعظه^(٤):

(١) «تفسيره» (١ / ١١٦).

(٢) «المواهب الربانية» (ص ٥٨).

(٣) «التذكرة في الوعظ» (ص ١٩٢).

(٤) «ديوانه» (ص ٢٩).

وَأَكْثَرُ ذِكْرُهُ فِي الْأَرْضِ دُأْبًا لِّتُذَكَّرَ فِي السَّمَاءِ إِذَا ذَكَّرْنَا
وَلَا تَقُلِ الصُّبَا فِيهِ مَجَالٌ وَفَكَّرَ كَمْ صَغِيرٍ قَدْ دَفَنَّا

وقال ابن القيم^(١): وليس المراد بالذكر مجرد ذكر اللسان، بل
الذكر القلبي واللساني، وذكره يتضمن ذكر أسمائه وصفاته، وذكر أمره
ونهيهِ، وذكره بكلامه، وذلك يستلزم معرفته والإيمان به، وبصفات
كمالهِ ونعوت جلالهِ، والثناء عليه بأنواع المدح، وذلك لا يتم إلا
بتوحيده؛ فذكره الحقيقي يستلزم ذلك كله، ويستلزم ذكر نعمه وآلائهِ
وإحسانهِ إلى خلقهِ.

وأما الشكر؛ فهو القيام له بطاعته والتقرب إليه بأنواع محابه ظاهراً
وباطناً، وهذان الأمران هما جماع الدين؛ فذكره مستلزم لمعرفته،
وشكره متضمن لطاعته، وهذان هما الغاية التي خلق لأجلها الجن
والإنس والسموات والأرض، ووضع لأجلها الثواب والعقاب، وأنزل
الكتاب، وأرسل الرسل، وهي الحق الذي به خلقت السموات
والأرض وما بينهما.

وقال غيره: اذكر الله تعالى حتى يذكرك، اذكره حتى يحطَّ الذكر
عنك أوزارك، تبقى خالياً عن وزر، تصير طاعة بلا معصية؛ فحينئذ
يذكرك فيمن يذكرك، فتشتغل به عن خلقهِ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال النبي ﷺ:

«يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي؛ فَإِنْ

(١) «الفوائد» (ص ١٦٦).

ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي^(١)، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأِ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأِ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: عَبْدِي إِذَا ذَكَرْتَنِي خَالِيًا ذَكَرْتُكَ خَالِيًا، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأِ ذَكَرْتُكَ فِي مَلَأِ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَأَكْثَرُ»^(٣).

(١) أي: بالثناء عليه والثواب؛ فَإِنْ ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ بِالثَّنَاءِ فِي نَفْسِهِ ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِثْلًا عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ، وَإِنْ ذَكَرَهُ بِأَيِّ طَاعَةٍ أُخْرَى ذَكَرَهُ بِالثَّوَابِ بِحَسَبِ تِلْكَ الطَّاعَةِ. وَكَذَا إِنْ ذَكَرَهُ فِي مَلَأِ ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا يُمدِّحُ بِهِ وَيَعْظُمُ بِهِ شَأْنُهُ وَيَرْتَفِعُ بِهِ مَكَانُهُ، وَذَلِكَ عَلَى مَسْمَعٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَذَكَرَهُ بِالثَّوَابِ أَيْضًا.

وقد بحثت طويلاً في معنى «ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي»، ومعنى قوله تعالى: «فَاذْكُرُونِي أَذْكَرْكُمْ»، ولم أجد من حرره هكذا، بل فسروا ذكر الله للعبد بالثواب لا غير، والله أعلم بمراده.

وانظر: «تحفة الذاكرين» (ص ٨)، و«شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» (١ / ٢٦٧) للغنيمان.

ثم وجدت في «التفسير الكبير» للرازي (٢ / ١٥٩) ما يحسن ذكره، قال: «أما قوله: «أَذْكَرْكُمْ»؛ فلا بد من حمله على ما يليق بالموضع، والذي له تعلق بذلك: الثواب والمدح، وإظهار الرضا والإكرام، وإيجاب المنزلة، وكل ذلك داخل تحت قوله: «أَذْكَرْكُمْ».

وانظر: «جامع البيان» للطبري (٢ / ٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٣ / ٣٨٤ و ٤٦٦ و ٥١٢ - «فتح»)، ومسلم (٢٦٧٥) في كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى، وباب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى، كلاهما من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (١ / ٤٠٦ / رقم ٥٥١) وغيره، وهو في «صحيح» =

فصل

ومن فضائل الذكر: أنه يورث الذكور المحبة التي هي روح الإسلام، وقطب رحي الدين، ومدار السعادة والنجاة، وقد جعل الله لكل شيء سبباً، وجعل سبب المحبة دوام الذكر، فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل؛ فليلهج بذكره، فإن الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم؛ فالذكر باب المحبة، وشعارها الأعظم وصراطها الأقوم. قاله ابن القيم^(١).

وأفاد في «المدارج»^(٢): أن دوام ذكر الله تعالى على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال من أسباب محبة الله تعالى، وبقدر نصيب العبد من هذا الذكر يكون نصيبه من المحبة. اهـ.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُحِبَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؛ فَلْيَقْرَأْ فِي الْمُصْحَفِ»^(٣).

والمحب الصادق لربه عز وجل لا يفتر عن ذكره أبداً، ويظهر ذلك جلياً في مواطن:

أولها: عند أخذ مضجعه، وتفرغ حواسه وجوارحه من الشواغل،

= الجامع برقم (٤٢٠٠).

(١) «الوابل الصيب» (ص ٥٢).

(٢) (٣ / ١٧).

(٣) أخرجه ابن شاهين في «الترغيب» (١ / ٢١٢ / رقم ١٩٠)، وأبو نعيم في «الحلية»

(٧ / ٢٠٩)، والبيهقي في «الشعب» (٢ / ٤٠٨ / رقم ٢٢١٩)، وغيرهم، ولم

أجده في فهرس «الشعب» للأسف! وهو في «السلسلة الصحيحة» برقم (٢٣٤٢).

واجتماع قلبه على ما يحبه؛ فإنه لا ينام إلا على ذكر من يحبه وشغل قلبه به.

وثانيها: عند انتباهه من النوم؛ فأول شيء يسبق إلى قلبه ذكر محبوه.

وثالثها: عند الشدائد والأحوال؛ فإن القلب في هذا الموطن لا يذكر إلا أحب الأشياء إليه، ولا يهرب إلا إلى محبوه الأعظم عنده.

ويُجزم بصدق المحبة في الموطن الرابع، وهو عند المثل بين يديه في الصلاة، فإن قرت عينه وحضر في ذكره، واطمأن قلبه، واستراح وانشرح؛ فهو ذاك، وإلا؛ فلا يمكن أن يكون التَّقَارُّ محبة^(١).

وفي «التذكرة في الوعظ»^(٢):

الزَّمْ طَرِيقَ الذِّكْرِ عُمْرَكَ دَائِباً فَالذِّكْرُ فِي الْقَلْبِ الْمَحَبَّةُ زَارِعٌ

فصل

ومن فضائل الذكر: أن الله عز وجل مع الذاكر؛ كما في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ؛ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا هُوَ ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَاتُهُ»^(٣).

قال ابن القيم^(٤): وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة

(١) انظر: «طريق الهجرتين» (ص ٥٤٢).

(٢) (ص ٥٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٧٩٢)، وأحمد (٢ / ٥٤٠)، والبخاري (١٣ / ٤٩٩ - «فتح» تعليقاً، وأخرجه غيرهم.

(٤) «الوابل الصيب» (ص ٨٣).

العامّة؛ فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق.

قال: والمعية الحاصلة للذاكر معية لا يشبهها شيء، وهي أخص من المعية الحاصلة للمحسن والمتقي، وهي معية لا تدركها العبارة ولا تنالها الصفة. اهـ.

ومن فضائله: ما رواه النعمان بن بشير؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ: التَّسْبِيحَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّحْمِيدَ، يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيٍّ النَّحْلُ تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَّا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ (أو: لَا يَزَالُ لَهُ) مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ؟!»^(١).

ومن فضائل الذكر: ما في «مسند أحمد»^(٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رجلاً جاء فقال: أوصني. فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله ﷺ من قبلك:

«أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ؛ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ رُوحُكَ فِي السَّمَاءِ، وَذِكْرُكَ فِي الْأَرْضِ».

ومن فضائل الذكر العظيمة: أنه يوجب الاستغفار من الأوزار، وحل عقدة الإصرار، ودليله قول الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٩)، والحاكم (١ / ٥٠٣)، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «مختصر العلو» (ص ٩٦).

(٢) (٣ / ٨٢)، وهو في «الصحيحة» (رقم ٥٥٥).

(٣) آل عمران: ١٣٥.

قال محمد رشيد رضا^(١): ذكر الله عند الذنب يكون بتذكر نهيه ووعيده، أو عقابه، أو ذكر عظمته وجلاله.

وقال الزمخشري^(٢): ﴿اذكروا الله﴾: تذكروا عقابه أو وعيده أو نهيه أو حقه العظيم، وجلاله الموجب للخشية والحياء منه. اهـ.

وكذا من فضائل الذكر: أن مجالسه سبب لنيل المغفرة، وتبديل السيئات حسنات؛ ففي الحديث:

«مَا جَلَسَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، فَقَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ»^(٣).

ومن فضائل الذكر: ثناء الله عز وجل على أهله الذين لا يشغلهم عنه شيء من أمر الدنيا؛ فقال سبحانه:

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُمْ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ* رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾^(٤).

قال ابن سعدي^(٥): ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ يدخل في ذلك الصلاة كلها؛ فرضها ونفلها، وقراءة القرآن، والتسبيح والتهليل وغيره من أنواع الذكر، وتعلم العلم وتعليمه، والمذاكرة فيها (يعني: المساجد)

(١) «مختصر تفسير المنار» (١ / ٤٠١).

(٢) «الكشاف» (١ / ٢١٧).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٥٧٩) وغيره، وهو في «الصحيحة» برقم (٢٢١٠).

(٤) النور: ٣٦ و ٣٧.

(٥) «تيسير الكريم الرحمن» (٣ / ٤٠٣).

والاعتكاف، وغير ذلك من العبادات التي تفعل في المساجد.

ومن فضائل الذكر العظيمة: ما في «الصحيحين»^(١) عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُفُونَ فِي الطَّرِيقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ؛ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ. قَالَ: فَيَحْفُوتُهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَاذَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالَ: يَقُولُ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ؛ لَكَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا. قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَالَ: يَقُولُ: فِمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ: فَيَقُولُ: فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فَلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْفَى جَلِيسُهُمْ».

ومن فضائل الذكر أيضاً: ما في «صحيح مسلم»^(٢) عن أبي سعيد

(١) «صحيح البخاري» (١١ / ٢٠٨ - ٢٠٩ - «فتح») و «صحيح مسلم» (٢٦٨٩).

(٢) (٢٧٠١).

الخدري رضي الله عنه؛ قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله. قال: آله! ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثاً مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال:

«مَا أَجَلَسَكُمُ؟» قالوا: جلسنا نذكر الله، ونحمده على ما هدانا للإسلام وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا. قال: «آلَهُ! مَا أَجَلَسَكُمُ إِلَّا ذَاكَ؟» قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال:

«أَمَّا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنْ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي: أَنَّ اللَّهَ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ».

قال النووي^(١): (إن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة)؛ معناه: يُظهر فضلكم لهم، ويريهم حسن عملكم، ويثني عليكم عندهم، وأصل البهاء الحسن والجمال، وفلان يباهي بماله وأهله؛ أي: يفخر ويتجمل بهم على غيرهم، ويظهر حسنهم.

وقال ابن القيم^(٢): فهذه المباهاة من الرب تبارك وتعالى دليل على شرف الذكر عنده، ومحبة له، وأن له مزية على غيره من الأعمال.

ومن فضائل الذكر: أنه سبب تنزيل السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة بالذاكر؛ فعن الأغر قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري؛ أنهما شهدا على النبي ﷺ؛ أنه قال:

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٧ / ٢٣).

(٢) «الوابل الصيب» (ص ٩٣).

«لَا يَقَعْدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ؛ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^(١).

قال الشوكاني^(٢): قوله: (حفتهم الملائكة)؛ أي: أحذقت بهم واستدارت عليهم.

ومعنى (غشيتهم الرحمة): سترتهم؛ أخذاً من التغشي بالثوب، والسكينة: هي الطمأنينة والوقار.

قال: وفي الحديث ترغيب عظيم للاجتماع على الذكر؛ فإن هذه الأربع الخصائص في كل واحدة منها على انفرادها ما يثير رغبة الراغبين، ويقوي عزم الصالحين على ذكر رب العالمين.

وفي «التذكرة في الوعظ»^(٣): كم لله في مجالس الذكر من عين محرمة على النار! كم قد وضع فيها عن الظهور من ثقل الأوزار، وتنفجر فيها ينابيع الرحمة، ويتوفر فيها على الحاضرين من النعمة، ويُعطى كل سائل ما سأل، ويبلغ كل أمل ما أمله من كرم ذي الجلال والإكرام، ومواهب من له الفضل والإنعام، الذي لا يتعاضم ذنب غفره لجانيه، ولا فضل وهبه لسائليه؟! فأحضروا في هذه الساعة قلوبكم، واغسلوا بماء التوبة ذنوبكم، واستغفروا ربكم؛ فإنه يغفر ذنوب

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٠) وغيره، وفي لفظ عن أبي هريرة وحده: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَذَكَّرُونَ بِهِ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»، وهو قطعة من الحديث (٢٦٩٩).

(٢) «تحفة الذاكرين» (ص ١٢).

(٣) (ص ٢٧).

المستغفرين، واعتذروا إليه من تقصيركم؛ فإنه يقبل عذر المعتذرين،
واستنصروه على من بغى عليكم؛ فما أسرع نصرته إلى
المستنصرين.

وفي «لطائف المعارف»^(١): يا من ضاع قلبه! انشده في مجالس
الذكر؛ عسى أن تجده. يا من مرض قلبه! احمله إلى مجالس الذكر؛
لعله أن يعافى.

فصل

ومن فضائل الذكر: أنه غراس الجنة؛ كما في الترمذي^(٢) عن ابن
مسعود رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَقْرَأُ أُمَّتَكَ مِنِّي
السَّلَامَ، وَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ الثَّرِيَّةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانُ^(٣)،
وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ
أَكْبَرُ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ مرَّ به وهو
يغرس غرساً، فقال:

«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! مَا الَّذِي تَغْرِسُ؟» قلت: غراساً لي. قال:

(١) (ص ٧٨).

(٢) (٣٤٦٢). وقواه الألباني في «الصحيحة» (١ / ١٦٦) بشاهدين.

(٣) (قيعان): جمع قاع، وهو المكان المستوي الواسع في وطأة من الأرض، يعلوه ماء
السما، فيمسكه، ويستوي نباته. «نهاية».

«أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ غِرَاسٍ خَيْرٍ لَّكَ مِنْ هَذَا؟» قال: بلى يا رسول الله.
قال:

«قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ؛
يُغْرِسُ لَكَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ»^(١).

وعن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ؛ قال:

«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ؛ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي
الْجَنَّةِ»^(٢).

ولابن القيم^(٣):

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّهَا الْقِيَعَانُ فَاغْدِ رِسْ مَا تَشَاءُ بِذَا الزَّمَانِ الْفَانِي
وَعِرَاسُهَا السَّنْبُوحُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ خَمِيدُ وَالتَّوْحِيدُ لِلرَّحْمَنِ
تَبًّا لِتَارِكِ غَرْسِهِ مَاذَا الَّذِي قَدْ فَاتَهُ مِنْ مُدَّةِ الْإِمْكَانِ
يَا مَنْ يَقْرَأُ بِذَا وَلَا يَسْعَى لَهُ بِاللَّهِ قُلْ لِي كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٧)، والحاكم (١ / ٥١٢)، وصححه، ووافقه الذهبي،
وكذا صححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» برقم (٢٦١٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٦٥)، وابن حبان (٢٣٣٥) - «موارد»، والحاكم (١ / ٥٠١) -
(٥٠٢)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي - كذا الصواب: شرط مسلم -..
انظر: «الصحيحة» (١ / ٩٥).

وروى الحديث غير من ذكرنا.

(٣) «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» (ص ٢٤٧).

أَرَأَيْتَ لَوْ عَطَّلْتَ أَرْضَكَ مِنْ غِرَا سِ مَا الَّذِي تَجْنِي مِنَ الْبُسْتَانِ
وَكَذَلِكَ لَوْ عَطَّلْتَهَا مِنْ بَذْرِهَا تَرْجُو الْمَغْلَّ يَكُونُ كَالْكِيْمَانِ
مَا قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ هَذَا فَرَاغٌ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ

فصل

ومن فضائل الذكر: أنه أعظم أسباب النجاة من عذاب الله تعالى؛
كما في «مسند أحمد»^(١) رحمه الله، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه؛
أنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَا عَمِلَ آدَمِيُّ عَمَلًا قَطُّ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ».

قال النيسابوري^(٢): الموجب لدخول جهنم هو الغفلة عن ذكره
سبحانه، والمخلص من عذاب جهنم هو ذكره، وكل من له ذوق وجد
من نفسه أن الأمر كذلك؛ فإن القلب إذا غفل عن الذكر وأقبل على
الدنيا؛ وقع في نار الحرص وزمهرير الحرمان، ولا يزال ينتقل من رغبة
إلى رغبة، ومن طلب إلى طلب، ومن ظلمة إلى ظلمة، فإذا فتح على
قلبه باب الذكر؛ خلص من نيران الآفات، وخسران الحسرات، إلى
معرفة رب الأرض والسموات.

(١) (٥ / ٢٣٩). وهو في «صحيح الجامع الصغير» (رقم ٥٥٢٠).

والحديث من أدلة فضل الذكر، وأنه من أعظم أسباب النجاة من مخاوف عذاب
الآخرة، وهو أيضاً من المنجيات من عذاب الدنيا ومخاوفها. كذا في «سبل السلام»
(٤ / ٢١٣).

(٢) «تفسيره» (٩ / ٨٣ - حاشية «تفسير الطبري»).

وللإليري^(١):

يا أيُّها النَّاسُ خُذُوا حِذْرَكُمْ وَحَصِّنُوا الْجُنَّةَ لِلنَّارِ
فَإِنَّهَا مِنْ شَرِّ أَعْدَائِكُمْ مَا فِي الْعِدَا أَعْدَى مِنَ النَّارِ
وَأكثِرُوا مِنْ ذِكْرِ مَوْلَاكُمْ فَذِكْرُهُ يُنْجِي مِنَ النَّارِ

فصل

ومن فضائل الذكر: أنه إن صاحبه البكاء في الخلوة؛ كان الذاكر
من السبعة الذين يظلمهم الله في ظل عرشه يوم القيامة؛ كما في
«الصحيحين»^(٢) وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ؛
قال:

«سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ...»، وفيه: «وَرَجُلٌ
ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ».

وقال أبي بن كعب رضي الله عنه^(٣): عليكم بالسبيل والسنة؛
فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية

(١) «ديوانه» (ص ٨٥ - ٨٦).

(٢) «صحيح البخاري» (٢ / ١٤٣ و ٣ / ٢٩٢ و ١١ / ٣١٢ و ١٢ / ١١٢ - «فتح»)،
و «صحيح مسلم» (١٠٣١).

(٣) أورد هذا الخبر ابن الجوزي في «تلبس إبليس» (ص ٨)؛ قال: أخبرنا عبد الوهاب
ابن المبارك، نا أحمد بن الحداد، نا أبو نعيم الحافظ، ثنا محمد بن أحمد بن
الحسين، ثنا بشر بن موسى، ثنا محمد بن سعيد، ثنا ابن المبارك، عن الربيع، عن
أبي العالية، عن أبي.

وانظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (١٠ / ٧٧)، و «استقامته» (١ / ٢٥٤).

الله فتمسه النار، وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في إخلاف.

وقال مالك بن دينار^(١): لم يبق من روح الدنيا إلا ثلاثة: لقاء الإخوان، والتهجد بالقرآن، وبيت خالٍ يُذكر الله فيه.

وقال شيخ الإسلام^(٢): لا بد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وتفكره ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه، وما يختص به من الأمور التي لا يُشركه فيها غيره؛ فهذه يحتاج فيها إلى انفراده بنفسه: إما في بيته^(٣) كما قال طاووس: نعم صومعة الرجل بيته، يكف

(١) «لطائف المعارف» (ص ٧٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٤٢٦).

(٣) إن كان بيتاً إسلامياً ليس فيه محرمات؛ من مخالطة، أو تلفاز تعرض فيه صور المغنيات والفاجرات، وتسمع فيه أصوات المعازف، وخاصة المثيرة للفسوق والمجون، وغير ذلك من أسباب هدم الدنيا والدين، وإلا؛ فعلى الناصح لنفسه أن يطلب هذه الخلوة المشروعة في مكان آخر كالمسجد، ونعم البيت هو؛ فـ«المَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ مُؤْمِنٍ»، كما قال رسول الله ﷺ.

أخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (٦ / ١٧٦)، وحسنه الألباني. انظر: «الصحيحة» (٢ / ٣٤٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ؛ قال: «مَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ؛ إِلَّا تَبَشَّشَ اللَّهُ لَهُ كَمَا تَبَشَّشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ».

أخرجه ابن ماجه (٨٠٠)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٥٠٣)، وغيرهما.

وفي رواية عند ابن خزيمة ذكرها المنذري في «الترغيب والترهيب» (١ / ٢١٨): «مَا مِنْ رَجُلٍ كَانَ تَوَطَّنَ الْمَسَاجِدَ، فَشَغَلَهُ أَمْرٌ أَوْ عِلَّةٌ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَا كَانَ؛ إِلَّا =

فيها بصره ولسانه. وإما في غير بيته.

فصل

ومن فضائل الذكر: أنه يورث حياة القلب. أفاده ابن القيم^(١)، ثم قال: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله تعالى روحه وهو يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسّمك؛ فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟! فارق الماء؟!

وقال في «مدارج السالكين»^(٢): حياة القلب بدوام الذكر وترك الذنوب.

وقال في «الكافية»^(٣):

وَحَيَاةُ قَلْبِ الْعَبْدِ فِي شَيْئَيْنِ مَنْ يُرْزَقُهُمَا يَخْيَى مَدَى الْأَزْمَانِ
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْأُخْرَى يَكُونُ الْحَيِّ ذَا الرِّضْوَانِ وَالْإِحْسَانِ
ذِكْرُ الْإِلَهِ وَحُبُّهُ مِنْ غَيْرِ إِشْرَكَ رَأَى بِهِ وَهُمَا فَمُمْتَنِعَانِ
مِنْ صَاحِبِ التَّغْطِيلِ حَقًّا كَأَمْتِنَا عِ الطَّائِرِ الْمَقْصُوصِ مِنْ طَيْرَانِ

= يَتَشَبَّهُ اللَّهُ إِلَهَهُ كَمَا يَتَشَبَّهُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ.

وصححها الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (رقم ٣٢٥).

(١) «الوابل الصيب» (ص ٥٣).

(٢) (٣ / ٢٦٣).

(٣) (ص ١٨٣ - ١٨٤).

وقال في «إغاثة اللهفان»^(١): ومن علامات صحة القلب: أن لا يفتر عن ذكر ربه، ولا يسأم من طاعته، ولا يأنس بغيره؛ إلا بمن يدلّه عليه، ويذكره به، ويذكره بهذا الأمر.

قال: ومن علامات صحته: أنه إذا فاته ورده وجد لفواته ألماً أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفقده.

وقال ابن رجب^(٢): القلوب الميتة تحيا بالذكر كما تحيا الأرض الميتة بالقطر.

ونظمها الشاعر؛ فقال^(٣):

وَالذِّكْرُ فِيهِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ كَمَا يُخَيِّبُ الْبِلَادَ إِذَا مَا مَاتَتِ الْمَطَرُ

ومن فضائل الذكر: أنه ينوب عن إنفاق المال وقيام الليل والحج والعمرة والجهاد؛ ففي «الصحيحين»^(٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: جاء الفقراء إلى النبي ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى والنعيم المقيم؛ يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون. قال:

«أَلَا أَحَدْتُكُمْ بِأَمْرٍ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ أَذْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَلَمْ يُذَرِكْكُمْ

(١) (١ / ٧٢) بتصرف يسير.

(٢) «لطائف المعارف» (ص ١٠).

(٣) «سيرة عمر بن عبد العزيز» لابن الجوزي (ص ١٧٠).

(٤) «صحيح البخاري» (٢ / ٣٢٥ و ١١ / ١٣٢ «فتح»)، و «صحيح مسلم» (٥٩٥).

أَحَدٌ مِنْ بَعْدِكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ؛ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ: تُسَبِّحُونَ وَتُحَمِّدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ».

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ ضَنَّ بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ، وَبِاللَّيْلِ أَنْ يُكَابِدَهُ؛ فَعَلَيْهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»^(١).

ومن فضائل الذكر: أنه يعين على شرائع الإسلام ويسهلها على العبد؛ فعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه؛ أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ: إن شرائع الإسلام قد كثرت علي؛ فأنبئني بشيء أتشبث به، فقال:

«لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»^(٢).

قال المباركفوري^(٣): (أتشبث به)؛ أي: أتعلق به وأستمسك، ولم يُرد أنه يترك شرائع الإسلام رأساً، بل طلب ما يتشبث به بعد الفرائض عن سائر ما لم يفترض عليه. قاله الطيبي.

(قال: لا يزال)؛ أي: هو أنه لا يزال (لسانك رطباً من ذكر الله)؛ أي: طرياً مشغلاً قريب العهد منه، وهو كناية عن المداومة على الذكر. اهـ.

(١) «صحيح الجامع الصغير» (٦٢٥٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣)، والحاكم (١ / ٤٩٥)، وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي، وبقولهما قال الألباني في «تخريج الكلم» (رقم ٣).

وتقدم في أول هذا الباب لفظ الحافظ أبي نعيم في «الحلية» (٦ / ١١١ - ١١٢).

(٣) «تحفة الأحوذني» (٩ / ٣١٥).

قال ابن القيم^(١): فَدَلَّهُ النَّاصِحُ ﷺ عَلَى شَيْءٍ يَعِينُهُ عَلَى شَرَائِعِ
الإسلام، والحرص عليها، والاستكثار منها؛ فإنه إذا اتخذ ذكر الله
تعالى شعاره أحبه وأحب ما يحب؛ فلا شيء أحب إليه من التقرب
بشرائع الإسلام؛ فدلَّه ﷺ عَلَى مَا يَتِمَكَّنُ بِهِ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ وَتَسْهَلُ
بِهِ عَلَيْهِ، وَهُوَ ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

يوضحه: أن ذكر الله عز وجل من أكبر العون على طاعته؛ فإنه
يحببها إلى العبد، ويسهلها عليه، ويلذذها له، ويجعل قرة عينه فيها،
ونعيمه وسروره بها، بحيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة ما يجد
الغافل، والتجربة شاهدة بذلك. اهـ.

ومن فضائل الذكر: أن العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا به؛
كما في الحديث أن النبي ﷺ قال:

«إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخُمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا، وَيَأْمُرَ
بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا...» الحديث، وفيه: «وَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا
اللَّهَ؛ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي آثَرِهِ سِرَاعًا، حَتَّى أَتَى
عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ، فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ
الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ»^(٢).

(١) «الوابل الصيب» (ص ٩٦ - ٩٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٦٣ و ٢٨٦٤)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٤٨٣)، وابن حبان
(٨ / ٤٣ - «إحسان»)، والحاكم (١ / ١١٨)، وصححه.

وكذا أخرجه الطيالسي (١١٦١)، وصحح إسناده الألباني في «تخريج المشكاة»
(رقم ٣٦٩٤).

قال ابن القيم^(١): وهذا بعينه هو الذي دلت عليه سورة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾؛ فإنه وصف الشيطان فيها بأنه الخناس، والخناس: الذي إذا ذكر العبدُ اللهَ انخنس وتجمع وانقبض، وإذا غفل عن ذكر الله التقم القلب وألقى إليه الوسوس التي هي مبادئ الشر كله؛ فما أحرز العبدُ نفسه من الشيطان بمثل ذكر الله عز وجل.

وقال^(٢): فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة؛ لكان حقيقاً بالعبد ألا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى، وأن لا يزال لهجاً بذكره؛ فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة؛ فهو يرصده؛ فإذا غفل وثب عليه واقتصره، وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله وتصاغر وانقمع حتى يكون كالوصع^(٣) وكالذباب، ولهذا سُمِّيَ (الوسواس الخناس)؛ أي: يوسوس في الصدور، فإذا ذكر الله تعالى خنس؛ أي: كف وانقبض.

وفي «التذكرة في الوعظ»^(٤): ذاكر الله لا يستطيع الشيطان في ذكره مقيلاً، ذاكر الله لا يجد الشيطان إلى إغوائه سبيلاً، ذاكر الله لا يزال شيطانه مدحوراً ذليلاً، ذاكر الله قد تكفل الله بحفظه، وكيف يضيع من كان الله يحفظه كفيلاً؟!

وفيه^(٥): لا يزال الإنسان صريعاً تحت الشيطان حتى يذكر الله

(١) «بدائع الفوائد» (٢ / ٢٧٠).

(٢) «الوابل الصيب» (ص ٤٦).

(٣) طائر أصغر من العصفور.

(٤) (ص ١١٧).

(٥) (ص ١٥٢).

تعالى ويتلو القرآن؛ فحيثُ يستوي الإنسان قائماً، ويخر الشيطان صريعاً.

فمن شاء أن يكون العدو عن لحاقه بطيئاً؛ فليكن إلى الذكر والتلاوة سريعاً.

وفيها^(١): مَسَّة الشيطان ليس لها غير ذكر الله ترياق.

فصل

ويكفي في فضل الذكر: أن الدنيا وما فيها ملعون؛ إلا ذكر الله تعالى وما تعلق به؛ كما في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول:

«الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا؛ إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ، أَوْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا»^(٢).

قال الطيبي^(٣): فيه أن ذكر الله أفضل الأعمال، ورأس كل عبادة.

قال ابن الجوزي^(٤): كيف لا تكون الدنيا ملعونة وهي عن ذكر الله شاغلة؟ ولمن نظر إليها فاتنة، ولمن ركن إليها قاتلة، ولمن استصحبها غاشة، ولمن استنصرها خاذلة؟!

(١) (ص ١١٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، وغيرهما، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (رقم ٧١).

(٣) انظر: «فيض القدير» (٣ / ٥٤٩).

(٤) «التذكرة» (ص ٨٦).

وروى ثوبان رضي الله عنه؛ قال: لما نزل في الفضة والذهب ما نزل^(١) قالوا: فأبي المال نتخذ؟ قال عمر: فأنا أعلم لكم ذلك. فأوضح على بغيره^(٢)، فأدرك النبي ﷺ وأنا في أثره، فقال: يا رسول الله! أبي المال نتخذ؟ فقال:

«لِيَتَّخِذَ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُعِينُ أَحَدَكُمْ عَلَى أَمْرِ الْآخِرَةِ»^(٣).

فصل

وهذه خمس وعشرون فائدة لذكر الله تعالى انتقيتها من كلام ابن القيم رحمه الله^(٤):

الأولى: أنه يرضي الرحمن عز وجل.

الثانية: أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

الثالثة: أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

الرابعة: أنه يقوّي القلب والبدن.

الخامسة: أنه ينوّر الوجه والقلب.

(١) أي: قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتَنُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤].

(٢) أي: أسرع بغيره راكباً عليه.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٠٩٤)، وابن ماجه (١٨٥٦)، وأحمد (٥ / ٢٨٢)، وغيرهم، ولفظ الترمذي: لو علمنا أي المال فتتخذ. فقال: «أَفْضَلُهُ لِسَانٌ ذَاكِرٌ، وَقَلْبٌ شَاكِرٌ، وَزَوْجَةٌ مُؤْمِنَةٌ تُعِينُهُ عَلَى إِيْمَانِهِ».

والحديث في «السلسلة الصحيحة» برقم (٢١٧٦).

(٤) «الوابل الصيب» (٥٢ - ١٠٣).

السادسة: أنه يجلب الرزق.

السابعة: أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

الثامنة: أنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان؛ فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت.

التاسعة: أنه يورثه الإنابة، وهي الرجوع إلى الله عز وجل، فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره؛ أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله؛ فيبقى الله عز وجل مفزعه وملجأه، وملاذه ومعاذه، وقبلة قلبه، ومهربه عند النوازل والبلايا.

العاشرة: أنه يورثه القرب منه؛ فعلى قدر ذكره لله عز وجل يكون قربه منه، وعلى قدر غفلته يكون بعده منه.

الحادية عشرة: أنه يفتح له باباً عظيماً من أبواب المعرفة، وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة.

الثانية عشرة: أنه يورثه الهيبة لربه عز وجل وإجلاله؛ لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى، بخلاف الغافل؛ فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه.

الثالثة عشرة: أنه قوت القلب والروح، فإذا فقد العبد؛ صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.

الرابعة عشرة: أنه يحط الخطايا ويذهبها؛ فإنه من أعظم الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات.

الخامسة عشرة: أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك

وتعالى؛ فإن الغافل بينه وبين الله عز وجل وحشة لا تزول إلا بالذكر.

السادسة عشرة: أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل؛ فإن العبد لا بد له من أن يتكلم، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره؛ تكلم بهذه المحرمات أو بعضها، ولا سبيل إلى السلامة منها البتة إلا بذكر الله تعالى.

والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك، فمن عوّد لسانه ذكر الله؛ صان لسانه عن الباطل واللغو، ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى؛ ترطّب بكل باطل ولغو وفحش.

فإما لسان ذاك، وإما لسان لاغ، ولا بد من أحدهما، فهي النفس؛ إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وهو القلب؛ إن لم تسكنه محبة الله عز وجل سكنه محبة المخلوقين ولا بد، وهو اللسان؛ إن لم تشغله بالذكر شغلك باللغو وما هو عليك ولا بد، فاختر لنفسك إحدى الخطتين، وأنزلها في إحدى المنزلتين.

السابعة عشرة: أنه يسعد الذاكر بذكره، ويسعد به جليسه، وهذا هو المبارك أين ما كان، والغافل واللاغي يشقى بلغوه وغفلته ويشقى به مجالسه.

الثامنة عشرة: أنه أيسر العبادات، وهو من أجلها وأفضلها؛ فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها، ولو تحرك عضو من الإنسان في اليوم واللييلة بقدر حركة لسانه؛ لَشَقَّ عليه غاية المشقة، بل لا يمكنه ذلك.

التاسعة عشرة: أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده؛ فإن نسيان الرب سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصالحتها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١).

وإذا نسي العبد نفسه؛ أعرض عن مصالحتها ونسيها، واشتغل عنها؛ فهلكت وفسدت ولا بد، كمن له زرع أو بستان أو ماشية أو غير ذلك مما صلاحه وفلاحه بتعاهده والقيام عليه، فأهمله ونسيه، واشتغل عنه بغيره، وضيع مصالحه؛ فإنه يفسد ولا بد.

لهذا مع إمكان قيام غيره مقامه فيه؛ فكيف الظن بفساد نفسه وهلاكها وشقائها إذا أهملها ونسيها، واشتغل عن مصالحتها، وعطل مراعاتها، وترك القيام عليها بما يصلحها؟! فما شئت من فساد وهلاك وخيبة وحرمان، ولهذا هو الذي صار أمره كله فرطاً؛ فانفرط عليه أمره، وضاعت مصالحه، وأحاطت به أسباب القطوع والخيبة والهلاك. ولا سبيل إلى الأمان من ذلك إلا بدوام ذكر الله تعالى واللهج به، وأن لا يزال اللسان رطباً به، وأن يتولى منزلة حياته التي لا غنى له عنها، ومنزلة غذائه الذي إذا فقده فسد جسمه وهلك، وبمنزلة الماء عند شدة العطش، وبمنزلة اللباس في الحر والبرد، وبمنزلة الكين^(٢) في شدة الشتاء والسّموم.

فحقيق بالعبد أن ينزل ذكر الله منه بهذه المنزلة وأعظم؛ فأين

(١) الحشر: ١٩.

(٢) الغطاء والوقاء، وما يَرُدُّ الحر والبرد من الأبنية والمساكن.

هلاك الروح والقلب وفسادهما من هلاك البدن وفساده؟!

هَذَا هلاك لا بد منه، وقد يعقبه صلاح لا بد منه، وأما هلاك القلب والروح؛ فهلاك لا يرجى معه صلاح ولا فلاح، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولو لم يكن في فوائد الذكر وإدامته إلا هذه الفائدة وحدها؛ لكفى بها، فمن نسي الله تعالى أنساه نفسه في الدنيا، ونسيه في العذاب يوم القيامة.

العشرون: أن الذكر نور للذاكر في الدنيا، ونور له في قبره، ونور له في معاده، يسعى بين يديه على الصراط؛ فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر الله تعالى.

الحادية والعشرون: أن الذكر ينبه القلب من نومه ويوقظه من سنته، والقلب إذا كان نائماً فاتته الأرباح والمتاجر، وكان الغالب عليه الخسران، فإذا استيقظ وعلم ما فاتته في نومته؛ شد المِئزر، وأحيا بقية عمره، واستدرك ما فاتته، ولا تحصل يقظته إلا بالذكر؛ فإن الغفلة نوم ثقيل.

الثانية والعشرون: أن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمر إليها السالكون؛ فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر، وكلما عظمت تلك الشجرة ورسخ أصلها؛ كان أعظم لثمرتها؛ فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد، وهو أصل كل مقام وقاعدته التي ينبنى ذلك المقام عليها، كما ينبنى الحائط على أسسه، وكما يقوم السقف على حائطه، وذلك أن العبد إن لم يستيقظ لم يمكنه قطع منازل السير، ولا يستيقظ إلا بالذكر - كما تقدم -؛ فالغفلة نوم

القلب أو موته .

الثالثة والعشرون: أن الذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه؛ فالقلوب مريضة، وشفائها ودواؤها في ذكر الله تعالى .

الرابعة والعشرون: أن جميع الأعمال إنما شرعت إقامة لذكر الله تعالى، والمقصود بها تحصيل ذكر الله تعالى، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(١)؛ أي: أقم الصلاة لأجل ذكرى .

الخامسة والعشرون: أن للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء، فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكر والنعيم الذي يحصل لقلبه؛ لكفى به .

قال مالك بن دينار: ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل .
فليس شيء من الأعمال أخف مؤونة منه، ولا أعظم لذة ولا أكثر فرحة وابتهاجاً للقلب .

وقال ابن القيم في «مدارج السالكين»^(٢): الذكر منشور الولاية، الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عُزل، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقتها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بوراً، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقه انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب .

(١) طه: ١٤ .

(٢) (٢ / ٢٣٣ - ٢٢٤) باختصار وتصرف .

به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلم البلاء؛ فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل؛ فإليه مفزعهم؛ فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون، يدع القلب الحزين ضاحكاً مسروراً، ويوصل الذاكر إلى المذكور، بل يدع الذاكر مذكوراً^(١).

وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة، والذكر عبودية القلب واللسان، وهي غير مؤقتة، وكما أن الجنة قيعان وهو غراسها؛ فكذلك القلوب بور خراب وهو عمارتها وأساسها.

وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره واستغرق فيه؛ ازداد المذكور سبحانه محبة إلى لقائه، وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه؛ نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضاً من كل شيء.

به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار.

زَيْنَ الله به ألسنة الذاكرين، كما زَيْنَ بالنور أبصار الناظرين؛ فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء.

وهو باب الله الأعظم، المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته.

وهو روح الأعمال الصالحة، فإذا خلا العمل عن الذكر؛ كان

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة : ١٥٢] لا غير، وقد تقدم وما في معناه من الأحاديث.

كالجسد الذي لا روح فيه .

وقال في «زاد المعاد»^(١): ومن أسباب شرح الصدر دوام ذكره^(٢) على كل حال، وفي كل موطن؛ فللذكر تأثير عجيب في انشراح الصدر، ونعيم القلب، وللغفلة تأثير عجيب في ضيقه وحبه وعذابه .

وفي «التذكرة في الوعظ»^(٣):

يا طَالِبَ الْخَيْرَاتِ ائِنَّ أَنْتَ عَنْ بَابِ الْغِنَى الْحَمِيدِ
يا خَائِفَ الشَّرِّ هَلَّا لَجَأْتَ إِلَى رُكْنِ الْقَوِيِّ الشَّدِيدِ
يا مَنْ قَدْ اغْتَكَّرْتَ عَلَى قَلْبِهِ الْهَمُومُ لِمَ لَا تُرَوِّحُ بِذِكْرِ الْحَمِيدِ الْمَجِيدِ

وقال بعضهم: الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وتعالى، بل هو العمدة في هذا الطريق، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر، والذكر على ضربين: ذكر اللسان وذكر القلب؛ فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب، والتأثير لذكر القلب، فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه؛ فهو الكامل في وصفه في حال سلوكه .

وقال غيره: ومن خصائص الذكر أنه غير مؤقت، بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بأن يذكر الله تعالى؛ إما فرضاً وإما ندباً، والصلاة وإن كانت أشرف العبادات؛ فقد لا تجوز في بعض الأوقات، والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات . اهـ .

(١) (٢ / ٢٥) .

(٢) أي: ذكر الله تعالى .

(٣) (ص ٥٨) .

قال ابن القيم^(١): الذكر يسير العبد وهو في فراشه وفي سوقه، وفي حال صحته وسقمه، وفي حال نعيمه ولذته، وليس شيء يعم الأوقات والأحوال مثله.

(١) «الوابل الصيب» (ص ٦٢).

الباب الرابع

في أحوال المؤمنين
عند ذكر الله تعالى

أحوال المؤمنين عند ذكر الله تعالى

وإنما ذكرت هذا الباب وإن كان مُختصراً؛ تحذيراً لمن يذكر الله عز وجل بلسانه دون استحضار المعاني، أو بهما لكن دون استحضار القلب ما اشتمل عليه الذكر من التعظيم لله عز وجل، أقول: ذكرت ذلك تحذيراً له من الغرّة والدعوى؛ إذ الذكر باللسان مع معرفة المعنى شيء، ومواطأة القلب للسان شيء آخر، وتعظيم القلب لله تعالى وخشيته فوق هذا، وامتلاء القلب من محبة الله وخشيته ورجائه، مفيضاً على الجوارح تقوى الله عز وجل، والمسابقة لمرضاته؛ فوق ذلك كله، والأمر درجات كثيرة وفوق ما يخطر بالبال، نسأل الله تعالى من فضله.

وفي وصف حال المؤمنين عند ذكر الحق جل وعلا، وسماع كلامه المجيد؛ قال الله عز وجل:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾^(١).

قال ابن سعدي^(٢): ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾؛ أي:

(١) الأنفال: ٢.

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (٢ / ١٨٨).

خافت ورهبت، فأوجبت لهم خشية الله تعالى الانكفاف عن المحارم،
فإن خوف الله تعالى أكبر علاماته أن يحجز صاحبه عن الذنوب.

﴿وإذا نلت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾؛ قال: ووجه ذلك أنهم
يُلْقون له السمع، ويحضرون قلوبهم لتدبره؛ فعند ذلك يزيد إيمانهم؛
لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لا بد أن يتبين لهم معنى كانوا
يجهلونه، ويتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في
الخير واشتياقاً إلى كرامة ربهم، أو وجلّاً من العقوبات وازدجاراً عن
المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان.

وقال الزمخشري^(١): ﴿وجلّت قلوبهم﴾: فزعت لذكره؛ استعظماً
له، وتهيباً من جلاله وعزة سلطانه، وبطشه بالعصاة وعقابه.

وقال سيّد قطب^(٢): فمجرد ذكر اسم الله يحرك الوجل في
ضمائرهم ومشاعرهم. اهـ.

ومن أحوال المؤمنين عند ذكر الله تعالى: اقشعرار الجلد، قال
تعالى:

﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَتَابِ نَقَشَرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٣).

قال ابن كثير^(٤): أي: هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار

(١) «الكشاف» (٢ / ١١٣).

(٢) «في ظلال القرآن» (٥ / ٥٩٩).

(٣) الزمر: ٢٣.

(٤) «تفسير القرآن العظيم» (٤ / ٥٠ - ٥١).

المهيمن العزيز الغفار؛ لما يفهمون منه من الوعد والوعيد والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف، ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾؛ لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه. اهـ.

ومن أحوال المؤمنين عند الذكر: أن قلوبهم تطمئن بذكر مولاهم الحق جل وعلا، ولا مطمئن لها سواه؛ كما قال تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١).

قال ابن كثير^(٢): أي: تطيب وتركن إلى جانب الله، وتسكن عند ذكره، وترضى به مولى ونصيراً، ولهذا قال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾؛ أي: هو حقيق بذلك.

وقال ابن سعدي^(٣): أي: يزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها، ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾؛ قال: أي: حقيق بها وحري أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره؛ فإنه لا شيء ألد للقلوب ولا أحلى من محبة الله والأنس به ومعرفته.

وقال^(٤): ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾؛ فتسكن القلوب عند الأخبار؛ فلا يبقى في القلب شك ولا ريب في كل خبر أخبر الله به في كتابه وعلى لسان رسوله، بل يفرح بذلك مطمئناً عالماً أن هذا أعظم فائدة حصلتها القلوب، ويطمئن عند الأوامر والنواهي؛ مكماً

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) «تفسيره» (٢ / ٥١٢).

(٣) «التيسير» (٢ / ٤٧١).

(٤) «خلاصة تفسير القرآن» (ص ١٨٣).

للمأمورات، تاركاً للمنهيات، راجياً لثواب الله، واثقاً بوعده.

ويطمئن أيضاً عند المصائب والمكاره؛ فيتلقاها بانسراح صدر واحتساب، ويعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم؛ فيخف عليه حملها، ويهون عليه ثقلها.

وقال القاسمي^(١): أي: تسكن وتخشى عند ذكره، وترضى به مولى ونصيراً، والعدول إلى صيغة المضارع لإفادة دوام الاطمئنان واستمراره، ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾؛ أي: بذكره دون غيره تسكن القلوب؛ أنساً به واعتماداً عليه ورجاء منه.

وقال الشاعر^(٢):

بِذِكْرِ اللَّهِ تَرْتَاحُ الْقُلُوبُ وَدُنْيَانَا بِذِكْرَاهُ تَطِيبُ
وفي «جامع العلوم والحكم»^(٣): قلوب المحبين لا تطمئن إلا بذكره، وأرواح المشتاقين لا تسكن إلا برؤيته.

قال ذو النون: ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجنة إلا برؤيته.

وقال ابن الجوزي^(٤): لو جرى ذكر العزيز الحكيم كما ينبغي له من الإجلال والتعظيم؛ لشفي بذكره كل سقيم، ولكن عزّ على أكثر الخلائق توفية الإجلال عند ذكر اسم الخالق.

(١) «محاسن التأويل» (٩ / ٣٦٠).

(٢) «لطائف المعارف» (ص ١١).

(٣) (ص ٤١٩).

(٤) «التذكرة في الوعظ» (ص ١٣٨).

قلت: ويدخل في هذا الذكر - الذي تطمئن القلوب به - التسبيح والتلهيل والتكبير والتحميد ونحو ذلك، وتلاوة القرآن العظيم وسماعه، وتدبر ما فيه من أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلى، ووعدته ووعيده، وأمره ونهيه، وقصصه ومواعظه، ولهذا الذكر وبه تسكن القلوب وترضى، وتثمر أنواع الأحوال الإيمانية والمعارف الإلهية، وبه سعادة العبد في الدنيا والآخرة، وفوزه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وأما من لم يلن لهذا الذكر وأعرض عنه؛ فقد شقي في الدنيا والآخرة، والويل له؛ كما قال الله تعالى:

﴿قَوْلٌ لِّلْغَيْبِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَتْكَ فِي صَلَاتِكَ مُبِينٌ﴾^(١).

قال ابن سعد^(٢): أي: لا تلين لكتابته، ولا تتذكر آياته، ولا تطمئن بذكره، بل هي معرضة عن ربها ملتفتة إلى غيره؛ فهؤلاء لهم الويل الشديد والشر الكبير.

﴿أولئك في ضلال مبين﴾، وأي ضلال أعظم من ضلال من أعرض عن وليه ومن كل السعادة في الإقبال عليه، وقسا قلبه عن ذكره، وأقبل على كل ما يضره!!؟

وقال^(٣): القلب القاسي^(٤) لا تؤثر فيه الآيات شيئاً، ولا يزداد مع

(١) الزمر: ٢٢.

(٢) «التيسير» (٤ / ٣١٧).

(٣) «المواهب الربانية» (ص ٦٨).

(٤) أي: الذي تناهت به القساوة، وخُتِمَ له بها، وإن كان هناك مجال لتليينه؛ فلا شيء =

التذكير إلا تمادياً في غيه وطغيانه وضلاله، والقلب الخاشع لما كان حسن القصد متواطئاً على الحق طالباً له مستعداً لقبوله، لما وصل إليه الحق عرفه وعرف الحاجة بل الضرورة إليه؛ ففرح به، واطمأن به، وزادت رغبته، وأثر في قلبه خضوعاً، وفي عينيه دموعاً، وفي جلده قشعريرة، ثم يلين قلبه ويطمئن إلى ذكر الله تعالى.

قال ابن القيم^(١): إن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى؛ فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى.

وذكر حماد بن زيد عن المعلى بن زياد؛ أن رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد! أشكو إليك قسوة قلبي. قال: أذِبه بالذكر.

وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت به القسوة؛ فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار؛ فما أذِبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل.

وقال في «الفوائد»^(٢): ما ضُرِبَ عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله. خلقت النار لإذابة القلوب القاسية. أبعد القلوب من الله القلب القاسي. إذا قسا القلب قحطت العين. قسوة القلب من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة: الأكل، والنوم، والكلام، والمخالطة.

وقال العزيز الحكيم: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً

= في ذلك كآليات البينات، والأذكار الشريفة.

(١) «الوابل الصيب» (ص ٨٩).

(٢) (ص ١٢٨ - ط. دار النفائس).

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَنتَكَ، آيَتُنَا فَتَنِينَهَا * وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْشَى ^(١).

قال ابن القيم ^(٢): أي: تنسى في العذاب كما نسيت آياتي فلم تذكرها ولم تعمل بها.

قال: وإعراضه عن ذكره يتناول إعراضه عن الذكر الذي أنزله، وهو أن يذكر الذي أنزله في كتابه، وهو المراد بتناول إعراضه عن أن يذكر ربه بكتابه وأسمائه وصفاته وأوامره وآياته ونعمه؛ فإن هذه كلها توابع إعراضه عن كتاب ربه تعالى، فإن الذكر في الآية إما مصدر مضاف إلى الفاعل، أو مضاف لإضافة الأسماء المحضة؛ أي: مَنْ أعرض عن كتابي ولم يَتْلُهُ، ولم يتدبره، ولم يعمل به، ولا فهمه؛ فإن حياته ومعيشته لا تكون إلا مُضَيِّقَةً عليه منكدة معذباً فيها.

والضنك: الضيق والشدة والبلاء، ووصف المعيشة نفسها بالضنك مبالغة، وفسرت هذه المعيشة بعذاب البرزخ، والصحيح أنها تتناول معيشته في الدنيا وحاله في البرزخ؛ فإنه يكون في ضنك في الدارين، وهو شدة وجهد وضيق، وفي الآخرة يُنسى في العذاب، وهذا عكس أهل السعادة والفلاح؛ فإن حياتهم في الدنيا أطيب الحياة، ولهم في البرزخ وفي الآخرة أفضل الثواب.

وقال رحمه الله ^(٣): من أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه، وأن

(١) طه: ١٢٤ - ١٢٦.

(٢) «الوابل الصيب» (ص ٥٩).

(٣) «الفوائد» (ص ٦١).

تسمع داعيه ثم تتأخر عن الإجابة، وأن تعرف قدر الريح في معاملته ثم تعامل غيره، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له، وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الأنس بطاعته، وأن تذوق عصرة القلب عند الخوض في غير حديثه والحديث عنه ثم لا تشتاق إلى انشراح الصدر بذكره ومناجاته، وأن تذوق العذاب عند تعلق القلب بغيره ولا تهرب منه إلى نعيم الإقبال عليه والإنابة إليه.

وأعجب من هذا علمك أنك لا بد لك منه، وأنت أحوج شيء إليه وأنت عنه معرض وفيما يبعدك عنه راغب.

فصل

ومن أحوال الموفقين: الخشوع عند سماع آيات الله تعالى؛ فقال جل وعلا واصفاً من أسلم من علماء أهل الكتاب:

﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُوتُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾^(١).

ودعا الله سبحانه إلى تحقيق هذا الحال الإيماني، وهو (الخشوع) لذكره سبحانه؛ فقال:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٢).

قال القاسمي^(٣): قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ أي: ألم يحن، من أنى

(١) الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩.

(٢) الحديد: ١٦.

(٣) «محاسن التأويل» (١٦ / ٤٥).

الأمر يأتي، إذا جاء إناء؛ أي: وقته.

وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾؛ أي: أن تلين وترق وتخلص قلوبهم لذكر اسمه الكريم، وما يوجبه من الوجع منه والخشية.

وقال ابن سعدي^(١): وهذا فيه الحث على الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى ولما أنزله من الكتاب والحكمة، وأن يتذكر المؤمنون المواعظ الإلهية والأحكام الشرعية كل وقت، ويحاسبوا أنفسهم على ذلك.

﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد﴾؛ أي: ولا يكونوا كالذين أنزل الله عليهم الكتاب الموجب لخشوع القلب والانقياد التام، ثم لم يدوموا عليه ولا ثبتوا، بل طال عليهم الزمان، واستمرت بهم الغفلة؛ فاضمحل إيمانهم، وزال إيقانهم.

﴿فقتل قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾؛ فالقلوب تحتاج في كل وقت إلى أن تُذكر بما أنزل الله وتناطق بالحكمة، ولا ينبغي الغفلة عن ذلك؛ فإنه سبب لقسوة القلب وجمود العين.

وقال ابن الجوزي^(٢): والله؛ لو أن مؤمناً عاقلاً قرأ سورة الحديد، وآخر سورة الحشر، وآية الكرسي، وسورة الإخلاص؛ بتفكير وتدبر؛ لتصدع من خشية الله قلبه، وتحير في عظمة الله لُبّه. اهـ.

وقال الحق جل وعلا: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِعًا

(١) «التيسير» (٥ / ١٧٩).

(٢) «التذكرة» (ص ٧٣ - ٧٤).

مُتَّصِدًا عَائِنَ خَشْيَةِ اللَّهِ^(١).

فصل

والخشوع يتضمن معنيين:

أحدهما: التواضع والذل.

والثاني: السكون والطمأنينة.

وذلك مستلزم للين القلب المنافي للقسوة، فخشوع القلب يتضمن عبوديته لله وطمأنينته أيضاً، ولهذا كان الخشوع في العبادة يتضمن هذا وهذا التواضع والسكون. أفاده شيخ الإسلام^(٢).

وقال ابن رجب^(٣): أصل الخشوع هو لين القلب ورقته وسكونه وخضوعه وانكساره وحرقته، فإذا خشع القلب؛ تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء؛ لأنها تابعة له.

وعرّف ابن سعدي الخشوع بأنه^(٤): حضور القلب وقت تلبسه بطاعة الله، وسكون ظاهره وباطنه. ثم قال: فهذا خشوع خاص. وأما الخشوع الدائم الذي هو وصف خواص المؤمنين؛ فينشأ من كمال معرفة العبد بربه ومراقبته، فيستولي ذلك على القلب كما تستولي المحبة.

(١) الحشر: ٢١.

(٢) «الإيمان» (٢٤ - ٢٥).

(٣) «الخشوع في الصلاة» (ص ١١).

(٤) «خلاصة تفسير القرآن» (ص ٢٠١).

وقال في «المواهب الربانية»^(١): الخاشع هو الذي سكن في قلبه تعظيم الله ووقاره، وتصديق وعده ووعيده؛ فذلَّ وخضع، وانقادت جوارحه لما أمرت به، وترك الأشر والبطر والمرح المنافي للخشوع، وكلما بعد القلب عن هذا الوصف قسا وغلظ؛ فلم يخضع لأمر الله، ولا أثر فيه الذكر، بل ربما زاد خساراً وافتتن عند المحن والشبهات.

وقال في «المواهب» أيضاً^(٢): خشوع القلب عنوان الإيمان وعلامة السعادة، كما أن قسوته وعدم خشوعه عنوان الشقاوة، فالخشوع انكسار القلب وذله بين يدي ربه، وأن يبقى هذا الخشوع مستصحباً مع العبد في جميع أوقاته: إن غفل رجع إليه، وإن مرح عاد إليه، وإن شرع في تعبد وقربة من القربات خضع فيها وقام بالأدب الذي هو أثر الخشوع، خصوصاً في أم العبادات والجامعة بين أنواع التعبدات القلبية والبدنية وأقوال اللسان، وهي الصلاة؛ فإنه يقوم فيها مراعيّاً للمراقبة ومرتبة الإحسان.

وقال ابن القيم^(٣): الحق أن الخشوع معنى يلتئم من التعظيم والمحبة والذل والانكسار.

فصل

وكان رسول الله ﷺ يستعيز من قلب لا يخشع؛ كما في «صحيح مسلم»^(٤) عن زيد بن أرقم؛ أن النبي ﷺ كان يقول:

(١) (ص ٧٠).

(٢) (ص ٦٧ - ٦٨).

(٣) «مدارج السالكين» (١ / ٥٢٠).

(٤) (رقم ٢٧٢٢).

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا».

وقال ﷺ: «أَوَّلُ شَيْءٍ يُزْفَعُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخُشُوعُ؛ حَتَّى لَا تَرَى فِيهَا خَاشِعاً»^(١).

وقطع ابن القيم رحمه الله مادة «الدعوى» في الخشوع بالتفريق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق، فقال^(٢): الفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق: أن خشوع الإيمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والإجلال والوقار والمهابة والحياء، فينكسر القلب لله كسرة ملتزمة من الوجل والخجل والحب والحياء وشهود نعم الله وجنایاته هو، فيخشع القلب لا محالة، فيتبعه خشوع الجوارح.

وأما خشوع النفاق؛ فيبدو على الجوارح تصنعاً وتكلفاً والقلب غير خاشع، وكان بعض الصحابة يقول: أعوذ بالله من خشوع النفاق. قيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يُرى الجسد خاشعاً والقلب غير خاشع. فالخاشع لله عبد قد خمدت نيران شهوته، وسكن دخانها عن صدره؛ فانجلى الصدر وأشرق فيه نور العظمة، فماتت شهوات النفس للخوف والوقار الذي حُشي به، وخمدت الجوارح وتوقر القلب واطمأن إلى الله وذكره بالسكينة التي نزلت عليه من ربه؛ فصار مخبتاً له، والمخبت المطمئن؛ فإن الخبت من الأرض ما اطمأن فاستنقع فيه الماء؛ فكذلك القلب المخبت قد خشع واطمأن كالبقعة المطمئنة من

(١) حديث صحيح، أخرجه الطبراني في «الكبير» عن أبي الدرداء، وشداد بن أوس رضي الله عنهما. انظر: «صحيح الجامع الصغير» (رقم ٢٥٦٦ و ٢٥٧٣).

(٢) «الروح» (ص ٣١٤).

الأرض التي يجري إليها الماء، فيستقر فيها، وعلامته أن يسجد بين يدي ربه إجلالاً له وذلاً وانكساراً بين يديه سجدة لا يرفع رأسه عنها حتى يلقاه، وأما القلب المتكبر؛ فإنه قد اهتز بتكبره وربا، فهو كبقة رابية من الأرض لا يستقر عليها الماء. فهذا خشوع الإيمان.

وأما السماوات وخشوع النفاق؛ فهو حال عند تكلف إسكان الجوارح تصنعاً ومرءاة، ونفسه في الباطن شابة طرية ذات شهوات وإرادات، فهو يتخشع في الظاهر، وحية الوادي وأسد الغابة رابض بين جنبه ينتظر الفريسة.

فصل

ومن أحوال المؤمنين عند ذكر الله عز وجل: البكاء؛ فقال الله تعالى عن أنبيائه الكرام عليهم الصلاة والسلام:

﴿إِذَا نُنَادِيَهُمْ أَيْنَ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾^(١).

قال ابن كثير^(٢): أي: إذا سمعوا كلام الله المتضمن حججه ودلائله وبراهينه؛ سجدوا لربهم خضوعاً واستكانة، حمداً وشكراً على ما هم فيه من النعم العظيمة. والبكي: جمع باك.

وقال ابن سعدي^(٣): ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾؛ أي: خضعوا لآيات الله، وخشعوا لها، وأثرت في قلوبهم من الإيمان والرغبة والرغبة ما أوجب لهم البكاء والإنابة والسجود لربهم.

(١) مريم: ٥٨.

(٢) «تفسيره» (٣ / ١٢٧).

(٣) «التيسير» (٣ / ٢٠٩).

قال الطبري^(١): حدثنا ابن بشار؛ قال: ثنا عبد الرحمن؛ قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم^(٢)؛ قال: قرأ عمر بن الخطاب سورة مريم فسجد وقال: هذا السجود، فأين البكي^(٣)؟!

وقد جاء في فضل البكاء من خشية الله تعالى أخبار كثيرة؛ فعن ابن عباس رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَخْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٤).

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ؛ قال:

«لَا يَلْجُ النَّارَ أَحَدٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غَبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مَنْخَرِي أَمْرِي أَبَدًا»^(٥).

وعن أبي أمامة، عن النبي ﷺ؛ قال:

«لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ اللَّهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَآثَرَيْنِ: قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ فِي

(١) «جامع البيان» (١٦ / ٧٣).

(٢) سقط من هنا ذكر أبي معمر؛ كما قال ابن كثير في «تفسيره» (٣ / ١٢٧).

(٣) يريد: فأين البكاء.

(٤) أخرجه الترمذي (١٦٣٩) وغيره، وقال الألباني في «تخريج المشكاة» (٣٨٢٩): «صحيح لشواهده».

(٥) أخرجه الترمذي (٢٣١١)، وقال: «حديث حسن صحيح»، والنسائي (٦ / ١٢)، والحاكم (٤ / ٢٦٠)، وصححه، ووافقه الذهبي، وكذا صححه الألباني في «تخريج المشكاة» (برقم ٣٨٢٨).

والحديث أخرجه أحمد أيضاً (٢ / ٥٠٥).

خَشِيَةِ اللَّهِ، وَقَطْرَةُ دَمٍ تُهْرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْإِكْرَانُ؛ فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ تَعَالَى^(١).

فصل

ووصف الله سبحانه وتعالى من هدى من القسيسين والرهبان، فقال:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ وَمَا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٢).

قال الطبري^(٣): وفيض العين من الدمع امتلاؤها منه، ثم سيلانه منها؛ كفيض النهر من الماء وفيض الإناء، وذلك سيلانه عن شدة امتلائه.

وقال ابن سعدي^(٤): ﴿إِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ محمد ﷺ أثر ذلك في قلوبهم، وخشعوا له، وفاضت أعينهم؛ بحسب ما سمعوا من الحق الذي يثقون به. اهـ.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُوتُونَ * وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾^(٥).

(١) أخرجه الترمذي (١٦٦٩)، وقال: «حديث حسن غريب»، وقال الألباني في «تخريج المشكاة» (ص ١١٢٧): «إسناده حسن».

(٢) المائدة: ٨٣.

(٣) «جامع البيان» (٧ / ٥).

(٤) «التيسير» (١ / ٥١١).

(٥) الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩.

فصل

والبكاء عند الذكر هو حال سيد الخلق ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وفي ذلك أحاديث كثيرة، منها ما في «الصحيحين»^(١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ عَلَيَّ». قلت: يا رسول الله! اقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: «نعم». فقرأت سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٢). قال: «حَسْبُكَ الْآنَ». فالتفت إليه؛ فإذا عيناه تذرفان.

ومنها ما رواه عبد الله بن الشخير رضي الله عنه؛ قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء^(٣).

وقال ابن القيم^(٤) عن بكاء النبي ﷺ عند سماع القرآن الكريم: وهو بكاء اشتياق ومحبة وإجلال مصاحب للخوف والخشية.

وقال الغزالي^(٥): البكاء مستحب مع القراءة، وإنما طريق تكلف

(١) «صحيح البخاري» (٨ / ٢٥٠ و ٩ / ٩٣ و ٩٤ و ٩٨ - «فتح»)، و «صحيح مسلم» (٨٠٠).

(٢) النساء: ٤١.

(٣) أخرجه أبو داود (٩٠٤)، والنسائي (٣ / ١٣)، وابن خزيمة (٢ / ٥٣)، والترمذي في «الشمائل المحمدية» (رقم ٣٢٣).

وقال شيخنا في «مختصره» (ص ١٦٩): «صحيح».

والحديث أخرجه أحمد أيضاً (٤ / ٢٥).

(٤) «زاد المعاد» (١ / ١٨٣).

(٥) «الإحياء» (١ / ٢٧٧) باختصار وتصرف.

البكاء أن يحضر قلبه أسباب البكاء، ووجه ذلك أن يتأمل ما في القرآن من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود، ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره، فيبكي لا محالة، فإن لم يَحْضُرْهُ البكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية؛ فليكن على فقده؛ فإن ذلك من أعظم المصائب. اهـ.

وفي وجل الصحابة وبكائهم عند الموعظة: ما رواه العرياض بن سارية رضي الله عنه؛ قال: وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع؛ فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ...» الحديث^(١).

قال القرطبي^(٢) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٣): وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره، وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه، ونظير هذه الآية: ﴿فَلَهُمْ أَسْلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْسِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(٤).

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣ و ٤٤)، والدارمي (١ / ٤٤ و ٤٥)، والحاكم (١ / ٩٥ - ٩٨)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

والحديث أخرجه أيضاً أحمد (٤ / ١٢٦ - ١٢٧)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢ / ١٨١ و ١٨٢)، وغيرهما.

وصححه الألباني في «الإرواء» (٢٤٥٥).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٧ / ٣٦٥ - ٣٦٦).

(٣) الأنفال: ٢.

(٤) الحج: ٣٤ و ٣٥.

وقال: ﴿وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١)؛ فهذا يرجع إلى كمال المعرفة وثقة القلب، والوجل: الفزع من عذاب الله؛ فلا تناقض، وقد جمع الله بين المعنيين في قوله: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا نَفْسَعِرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٢)؛ أي: تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلى الله، وإن كانوا يخافون الله، فهذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته، لا كما يفعله جهال العوام، والمبتدعة الطغام^(٣)، من الزعيق والزئير، ومن الثهاق الذي يشبه نهاق الحمير، فيقال لمن تعاطى ذلك وزعم أن ذلك وجد وخشوع، لم تبلغ أن تساوي حال الرسول ولا حال أصحابه في المعرفة بالله والخوف منه والتعظيم لجلاله، ومع ذلك؛ فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكاء خوفاً من الله، ولذلك وصف الله أحوال أهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه، فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٤)؛ فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم، ومن لم يكن كذلك؛ فليس على هديهم ولا على طريقتهم، فمن كان مُسْتَنّاً؛ فليستنّ، ومن تعاطى أحوال المجانين والجنون؛ فهو من أخسهم حالاً، والجنون فنون. اهـ.

وقال شيخ الإسلام^(٥): وما يحصل عند الذكر المشروع من البكاء،

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) الزمر: ٢٣.

(٣) أراذل الناس وأوغادهم.

(٤) المائدة: ٨٣.

(٥) «مختصر الفتاوى المصرية» (ص ١٠٠).

ووجل القلب، واقشعرار الجسوم؛ فمن أفضل الأحوال التي جاء بها الكتاب .

أما الاضطراب الشديد والغشي والصيحان؛ فإن كان صاحبه لم يعلم ما هو عليه لم يُلَم، وسببه قوة الوارد مع ضعف القلب، والقوة والتمكن أفضل؛ كما هو حال النبي ﷺ وأصحابه، وأما السكون قسوة وجفاء؛ فهذا مذموم.

ولخير الدين وانلي^(١):

الدُّكْرُ فِي النَّفْسِ لَيْسَ الدُّكْرُ بِالنَّعَمِ	وَاللَّهُ يَسْمَعُ هَمْسَ الذَّرِّ فِي الظُّلَمِ
قَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مَبْلَغَهُ	فَإِنَّهُ دُونَ جَهْرِ الْقَوْلِ وَالْكَلِمِ
إِنْ كَانَ يَسْمَعُ رَبُّ الْأَنَامِ فَمَا	هَذَا الصُّرَاخُ الَّذِي يُقْضَى إِلَى الصَّمِّ
مِنْ أَيْنَ جَاؤُوا بِهِذَا الدُّكْرِ وَيَحُهُمُ	مِنْ هَيْشَةِ الشُّوقِ أَمْ مِنْ صَرْخَةِ الْأَلَمِ
هَلْ كَانَ أَصْحَابُ خَيْرِ الرُّسُلِ قَاطِبَةً	تَهْتَرُ أَرْذَائُهُمْ فِي الدُّكْرِ بِالنَّعَمِ
هَلْ كَانَ ذَاكِرُهُمْ بِالذَّفِّ يَنْقُرُهُ	هَلْ كَانَ يَشْخِرُ فِي الْحَلَقَاتِ كَالنَّعَمِ
هَلْ كَانَ يَلْبَسُ طَرَطُوراً لَهُ طَرَرٌ	هَلْ كَانَ يَرْكَعُ قَبْلَ الرَّقِصِ لِلصَّنَمِ
هَلْ كَانَ يَغْرِفُ بِالْمِزْمَارِ يَنْفُخُهُ	هَلْ كَانَ يَقْتُلُ مِثْلَ اللَّوْلِِبِ الْهَرَمِ
هَلْ كَانَ يَهْوِي إِلَى الْأَذْفَانِ صَارِخُهُمْ	تَظُنُّهُ مَاتَ مَغْشِيّاً مِنَ اللَّئَمِ
يَظَلُّ يَنْخَرُ وَالْأَشْدَاقُ مُزِيدَةٌ	وَالْعَيْنُ مُغْمِضَةٌ وَالْقَلْبُ فِي صَمِّ
مَا كَانَ ذِكْرُ أَبِي بَكْرٍ وَلَا عَمَرُ	كَذِكْرِ شِرْذِمَةٍ عَادَتْ مِنَ الْأَجَمِ

(١) «ديوان الحق المبين» (ص ٦٩).

الذِّكْرُ تقوى وإخلاصٌ ومَرْحَمَةٌ ما الذِّكْرُ شَعْوَذَةٌ أَوْ زَعَقَةٌ بِفَمٍ
 الذِّكْرُ وَغِيٍّ وإحسانٌ وتَضَحِيَّةٌ ما الذِّكْرُ غَيْبُوبَةٌ الْآهَاتِ مِنْ بَهَمٍ
 الذَّاكِرُونَ أضَاءَ الْكَوْنُ مِشْعَلُهُمْ الذَّاكِرُونَ أَنَارُوا حَالِكَ الظُّلَمِ
 الذَّاكِرُونَ مَشَى فِي الْأَرْضِ فَاتِحُهُمْ يُحْطِطُ الْبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ بِالْقَدَمِ
 الذَّاكِرُونَ أَقَامُوا دَوْلَةً خَفَقَتْ رَايَاتُهَا فَوْقَ سَهْلِ الْأَرْضِ وَالْعَلَمِ
 الذَّاكِرُونَ تَعَالَى صَوْتُ قَائِدِهِمْ بِالذِّكْرِ فِي حَوْمَةِ الْفُرْسَانِ فِي الضَّرَمِ
 الذَّاكِرُونَ تَهَاوَى عِنْدَ صَرَخَتِهِمْ اللَّهُ أَكْبَرُ عَرْشُ الرُّومِ وَالْعَجَمِ
 هَذَا هُوَ الذِّكْرُ هَذَا حَالُ فَاعِلِهِ مَا كَانَ دَرْوَشَةً أَوْ جَذْبَةً الْعَدَمِ
 عودوا إِلَى اللَّهِ فِي ذِكْرٍ وَفِي عَمَلٍ وَسَبِّحُوهُ بِأَفْعَالٍ وَبِالْكَلِمِ
 وَاسْتَلْهِمُوا سُنَّةَ الْمُخْتَارِ أَحْمَدِنَا وَخَيْرٍ مَنْ عَلَّمَ الْأَذْكَارَ فِي الْأَمَمِ
 فَسُنَّةُ الْمُصْطَفَى نَبْرَاسُ دَعْوَتِنَا فِي الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ فِي حَزْبٍ وَفِي سَلَمِ

فصل

ومن أحوال المؤمنين عند الذكر: الرجوع إلى الله عز وجل
 بالاستغفار من الجنايات، وترك الإصرار على المخالفات؛ لقوله تعالى
 في وصف المتقين:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ
 وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(١).

وكيف لا يستغفرون من ذنوبهم ويقلعوا عن عيوبهم وقد وصفهم

(١) آل عمران: ١٣٥.

مولاهم الحق بقوله: ﴿إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلْتَ قُلُوبُهُمْ﴾؛ فحق لمن ذكر الله عز وجل بالحضور والتدبر أن يستغفر من ذنبه ويترك الإصرار عليه؛ فإن ذكر الله تعالى بالتعظيم والإجلال يورث الهيبة والحياء منه تعالى، فيوجب ذلك الانتهاء عن المعصية، ولا بد.

وكذا ذكر وعيده سبحانه مما في الدنيا والقبر والآخرة من أصناف العقوبات، يخلع العبد من المعاصي، ويقلق قلبه ويزعجه ويحرق منه الشهوات حرقاً، ويؤزه إلى الطاعات أزاً.

وكذا ذكر وعده سبحانه لأهل طاعته؛ من الأمن والراحة والسعادة والطمأنينة في الدنيا وفي البرزخ وفي الجنة، حيث ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، يوجب ولا بد المسارعة إلى تحصيل ذلك، ولا سبيل إليه إلا بترك معصية الله تعالى والإصرار عليها.

وقال المراغي في «تفسيره»^(١): الآية تومئ إلى أن المتقين الذين أعد الله لهم الجنة لا يصرون على ذنب يرتكبونه صغيراً كان أو كبيراً؛ لأن ذكرهم لله يمنعهم أن يقيموا على الذنوب. اهـ.

وقال رسول الله ﷺ: «إِذَا ذُكِّرْتُمْ بِاللَّهِ؛ فَانْتَهُوا»^(٢).

قال المناوي^(٣): أي: إذا ذكركم أحد بوعيد الله وأليم عقابه، وقد

(١) (٤ / ٧٣).

(٢) أخرجه البزار (٣٢١١ - «كشف الأستار»)، وحسنه الألباني لغيره في «الصحيحة» (برقم ١٣١٩).

(٣) «فيض القدير» (١ / ٣٤٨).

عزمت على فعل شيء؛ (فانتھوا)؛ أي: كفوا عنه إجلالاً لذكره تعالى وإعظاماً له.

وقال ابن الجوزي^(١): ليس الذاكر من قال: سبحان الله والحمد لله؛ وقلبه مصرُّ على الذنوب، وإنما الذاكر من إذا همَّ بمعصية ذكر مقامه بين يدي علام الغيوب؛ كما قال بعض السلف: ليس الذاكر مَنْ هَمَّهَمَ بلسانه، وإنما الذاكر من إذا جلس في سوقه، وأخذ يزن بميزانه؛ علم أن الله مطلع عليه؛ فلم يأخذ إلا حقاً، ولم يعط إلا حقاً.

وروى أبو نعيم في «الحلية»^(٢) عن سعيد بن جبير؛ قال: الذكر طاعة الله، فمن أطاع الله؛ فقد ذكره، ومن لم يطعه؛ فليس بذاكر؛ وإن أكثر التسبيح وقراءة القرآن.

قاعدة

تحرك القلوب إلى الله

قال شيخ الإسلام^(٣): لا بد من التنبيه على قاعدة تحرك القلوب إلى الله عز وجل، فتعصم به، فتقل آفاتهما أو تذهب عنها بالكلية بحول الله وقوته.

فنقول: اعلم أن محركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة: المحبة، والخوف، والرجاء، وأقواها المحبة، وهي مقصودة تراد لذاتها؛ لأنها تراد في الدنيا والآخرة، بخلاف الخوف؛ فإنه يزول في

(١) «التذكرة» (ص ٨٦).

(٢) (٤ / ٢٧٦).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١ / ٩٥ - ٩٦).

الآخرة، قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلَىٰ لِآلِهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١)، والخوف المقصود منه الزجر والمنع من الخروج عن الطريق، فالمحبة تُلقِي العبد في السير إلى محبوبه، وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه، والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب، والرجاء يقوده، فهذا أصل عظيم يجب على كل عبد أن يتنبه له؛ فإنه لا تصح له العبودية بدونه، وكل أحد يجب أن يكون عبداً لله لا لغيره.

فإن قيل: فالعبد في بعض الأحيان قد لا يكون عنده محبة تبعه على طلب محبوبه؛ فأَي شيء يحرك القلوب؟!

قلنا: يحركها شينان:

أحدهما: كثرة الذكر للمحبيب؛ لأن كثرة ذكره تعلق القلوب به، ولهذا أمر الله عز وجل بالذكر الكثير، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا...﴾ الآية^(٢).

والثاني: مطالعة آلائه ونعمائه، قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُواْ آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿وَلِإِن نَّعُدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُخْصَوْهَا﴾^(٦).

(١) يونس: ٦٢.

(٢) الأحزاب: ٤١ و٤٢.

(٣) الأعراف: ٦٩.

(٤) النحل: ٥٣.

(٥) لقمان: ٢٠.

(٦) إبراهيم: ٣٤، والنحل: ١٨.

فإذا ذكر العبد ما أنعم الله به عليه؛ من تسخير السماء والأرض،
وما فيها من الأشجار والحيوان، وما أسبغ عليه من النعم الباطنة؛ من
الإيمان وغيره؛ فلا بد أن يثير ذلك عنده باعثاً.

وكذلك الخوف تحركه مطالعة آيات الوعيد والزجر والعرض
والحساب ونحوه.

وكذلك الرجاء يحركه مطالعة الكرم والحلم والعفو. اهـ.

الباب الخامس

في أفضل الذكر
وأحبه إلى الله تعالى

أفضل الذكر وأحبه إلى الله تعالى

أعني بالذكر هنا تلاوة القرآن الكريم، وكذا التسبيح والتهليل والتكبير والتحميد والحوقة والصلاة على النبي ﷺ ونحو ذلك، وكذا الدعاء بخيري الدنيا والآخرة، كل ذلك مما كان مطلقاً أو مقيداً، فأقول وبالله التوفيق:

أفضل الذكر للمبتدئ والمتوسط والمنتهي تلاوة القرآن الكريم، وهذا لا شك فيه البتة، وأفضل سورته المجيدة: «الفاتحة»، وأفضل آياته: «الكرسي»، وما تقرب المتقربون إلى الله عز وجل بمثله، كيف لا وهو كلامه جل جلاله.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا يَفْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَالَهُ مِنْ هَادٍ﴾^(١).

وكان رسول الله ﷺ يقول في خطبته:

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَذَّنَاتُهَا، وَكُلُّ بِذَعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٢).

(١) الزمر: ٢٣.

(٢) أخرجه مسلم (٨٦٧) وغيره.

قال النووي^(١): اعلم أن قراءة القرآن أفضل الأذكار؛ فينبغي المداومة عليها؛ فلا يخلي عنها يوماً وليلة.

قال ابن القيم^(٢): قراءة القرآن أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الدعاء، لهذا من حيث النظر لكل منهما مجرداً، وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل، بل يُعَيِّنُهُ؛ فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود؛ فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما، بل القراءة فيهما منهي عنها.

قال: ولما كانت الصلاة مشتملة على القراءة والذكر والدعاء، وهي جامعة لأجزاء العبودية على أتم الوجوه؛ كانت أفضل من كلٍّ من القراءة والذكر والدعاء بمفرده؛ لجمعها ذلك كله مع عبودية سائر الأعضاء.

وقال ابن رجب^(٣): من أعظم ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من النوافل كثرة تلاوة القرآن وسماعه بتفكير وتدبر وتفهم.

وقال شيخ الإسلام^(٤): قراءة القرآن أفضل من الذكر، وإن كان المفضول قد يكون أفضل^(٥)؛ فهذا متفق عليه بين أئمة الدين.

(١) «الأذكار» (ص ٩٢).

(٢) «الوابل الصيب» (ص ١١٨ و ١١٩).

(٣) «جامع العلوم والحكم» (ص ٣٤٢).

(٤) «مختصر الفتاوى المصرية» (ص ٩٦).

(٥) أي: لعارض. كما تقدم.

فصل

في تدبر القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿كَتَبْنَا الْقُرْآنَ لِتُدَبَّرُوا مِنْهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَرْتَدُّونَ عَنْ دِينِهِمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَرْتَدُّونَ عَنْ دِينِهِمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَرْتَدُّونَ عَنْ دِينِهِمْ﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢).

وتدبر القرآن الكريم هو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك. أفاده ابن سعدي (٣).

وقال النووي (٤): ينبغي للقارئ أن يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع، وهذا هو المقصود المطلوب، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب، ودلائله أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر.

وقال ابن القيم (٥): ليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل، وجمع فيه الفكر على معاني آياته؛ فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما ومآل أهلهما، وتتل (٦) في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه،

(١) ص: ٢٩.

(٢) محمد: ٢٤.

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (١ / ٣٧٦).

(٤) «الأذكار» (ص ٩٠). وانظر: «التيان في آداب حملة القرآن» (ص ٤٣ - ٤٤).

(٥) «مدارج السالكين» (١ / ٤٥١ - ٤٥٢).

(٦) أي: تضع.

وتشيد بنيانه، وتوطد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتُخَصِّرُه بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، وتبصره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله، وتعرفه ذاته وأسماء وصفاته وأفعاله، وما يحبه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه، وما لسالكه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتها، وتعرفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار، وأعمالهم وأحوالهم وسيماهم، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق، واجتماعهم فيما يجتمعون فيه، وافتراقهم فيما يفترقون فيه.

وقال^(١): لا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر؛ فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه، فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر؛ لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكر حتى مر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مئة مرة، ولو ليلة؛ فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن؛ فقراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب.

(١) «مفتاح دار السعادة» (١ / ١٨٧).

فصل

وأفضل الذكر بعد القرآن قول: «لا إله إلا الله»؛ فأخرج الترمذي^(١) وغيره عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«أَفْضَلُ الذِّكْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ».

قال المناوي^(٢): رأس الذكر قول: «لا إله إلا الله»، وهي الكلمة العليا، وهي القطب الذي يدور عليه رحى الإسلام، والقاعدة التي بني عليها أركان الدين، والشعبة التي هي أعلى شعب الإيمان، بل هي الكل وليس غيره.

وفي «الصحيحين»^(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال:

«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ مِثَّةَ مَرَّةٍ؛ كَانَتْ لَهُ عَدَلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِثَّةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِثَّةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُفْسِي، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ؛ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ».

فصل

وقول: «لا إله إلا الله» والتسبيح والتحميد والتكبير أحب الكلام

(١) (رقم ٣٣٨٣)، وحسنه، ووافقه الألباني في «تخريج المشكاة» (برقم ٢٣٠٦).

(٢) «فيض القدير» (٣ / ١١٦).

(٣) «صحيح البخاري» (٦ / ٣٣٨ و ١١ / ٢٠١ - «فتح»)، و «صحيح مسلم» (٢٦٩١).

إلى الله عز وجل؛ ففي «صحيح مسلم»^(١) وغيره عن سَمُرَةَ بن جُنْدَب رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ»^(٢): سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ.

وفي «مستدرک الحاكم»^(٣) وغيره عن أبي سلمى راعي رسول الله ﷺ؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«بَخٍ بَخٍ»^(٤) يَخْمَسُ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى لِلْمُسْلِمِ فَيُخْتَسِبُ.

وفي «مسند الإمام أحمد»^(٥) عن عبد الله بن شداد: أن نفراً من بني عذرة ثلاثة أتوا النبي ﷺ فأسلموا، فقال النبي ﷺ: «مَنْ يَكْفِيهِمْ». قال طلحة: أنا. قال: فكانوا عند طلحة، فبعث النبي ﷺ بعثاً، فخرج

(١) (رقم ٢١٣٧).

(٢) قال المناوي في «الفيض» (١ / ١٧٣): «لأنها جامعة لجميع أنواع الذكر؛ من توحيد وتنزيه، وصنوف أقسام الحمد والثناء، ومشيرة إلى جميع الأسماء الحسنى».

(٣) (١ / ٥١١ - ٥١٢). وقال الحاكم: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي، وأقرهما الألباني في «الصحيحة» (٣ / ٢٠٢).

(٤) «بَخٍ بَخٍ»: هي كلمة تقال عند المدح والرضى بالشيء، وتكرر للمبالغة، وهي مبنية على السكون، فإن وَصَلْتَ جَرَزْتَ ونَوْنَتْ، فقلت: بَخٍ بَخٍ، وربما شُدِّدَتْ. وَبَخِجَنْتَ الرجل؛ إذا قلت له ذلك، ومعناها تعظيم الأمر وتفضيحه. «نهاية».

(٥) (١ / ١٦٣). والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» (٢ / ٢٥٨) على شرط مسلم.

فيه أحدهم فاستشهد، قال: ثم بعث بعثاً، فخرج فيهم آخر فاستشهد، قال: ثم مات الثالث على فراشه. قال طلحة: فرأيت هؤلاء الثلاثة الذين كانوا عندي في الجنة؛ فرأيت الميت على فراشه أمامهم، ورأيت الذي استشهد أخيراً يليه، ورأيت الذي استشهد أولهم آخرهم. قال: فدخلني من ذلك، قال: فاتيت النبي ﷺ، فذكرت ذلك له، قال: فقال رسول الله ﷺ:

«وَمَا أَتَكْرَهُ مِنْ ذَلِكَ؟ لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَمِّرُ فِي الْإِسْلَامِ؛ لِتَسْبِيحِهِ، وَتَكْبِيرِهِ، وَتَهْلِيلِهِ».

وفيه أيضاً^(١) عن أم هانئ بنت أبي طالب؛ قالت: مرَّ بي ذات يوم رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله! إني قد كبرت وضعفت - أو كما قالت -، فمُرني بعمل أعمله وأنا جالسة. قال:

«سَبِّحِي اللَّهَ مِثَّةَ تَسْبِيحِهِ؛ فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكَ مِثَّةَ رَقَبَةٍ تُغْتَقِنُهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاحْمَدِي اللَّهَ مِثَّةَ تَحْمِيدِهِ تَعْدِلُ لَكَ مِثَّةَ فَرَسٍ مُسَرَّجَةٍ مُلْجَمَةٍ تَحْمِلِينَ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَبِّرِي اللَّهَ مِثَّةَ تَكْبِيرِهِ؛ فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكَ مِثَّةَ بَدَنَةٍ مُقَلَّدَةٍ مُتَقَبَّلَةٍ، وَهَلِّلِي اللَّهَ مِثَّةَ تَهْلِيلِهِ - قال ابن خلف: أحسبه قال: - تَمَلُّأَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلَا يُرْفَعُ يَوْمَئِذٍ لِأَحَدٍ عَمَلٌ؛ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِ مَا أَتَيْتَ بِهِ».

فصل

وأفضل الذكر بهذه الكلمات: المركب منها أو المضاعف، وكذا المركب المضاعف، وهو أكثرها فضلاً وأعظمها أجراً.

(١) (٦ / ٣٤٤). وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٣ / ٣٠٣).

وأعني بالمركب مثل قول: سبحان الله وبحمده؛ ففي «صحيح مسلم»^(١) عن أبي ذر؛ أن رسول الله ﷺ سئل: أي الكلام أفضل؟ قال: «مَا اضْطَفَى اللَّهُ لِمَلَأْتَكْتَهُ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ». وفي رواية قال: قال رسول الله ﷺ:

«أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ؟» قلت: يا رسول الله! أخبرني بأحب الكلام إلى الله. فقال: «إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ».

وفي «الصحيحين»^(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال النبي ﷺ:

«كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».

قال الحافظ^(٣): في الحديث حث على المواظبة على هذا الذكر، وتحريض على ملازمته؛ لأن جميع التكاليف شاقة على النفس، وهذا سهل، ومع ذلك يثقل في الميزان كما تنقل الأفعال الشاقة؛ فلا ينبغي التفريط فيه.

وقال^(٤): قال ابن بطال^(٥): هذه الفضائل الواردة في فضل الذكر

(١) (رقم ٢٧٣١).

(٢) «صحيح البخاري» (١١ / ٢٠٦ و ٥٦٦ و ١٣ / ٥٣٧ - «فتح»)، و «صحيح مسلم» (٢٦٩٤).

(٣) «فتح الباري» (١١ / ٢٠٨).

(٤) «الفتح» (١٣ / ٥٤١).

(٥) عن بعض العلماء. كما في «الفتح» (١١ / ٢٠٨).

إنما هي لأهل الشرف في الدين والكمال؛ كالطهارة من الحرام والمعاصي العظام؛ فلا تظن أن من أدامن الذكر، وأصر على ما شاءه من شهواته، وانتَهك دين الله وحرماته؛ أنه يلتحق بالمطهرين المقدسين، ويبلغ منازلهم بكلام أجراه على لسانه ليس معه تقوى ولا عمل صالح^(١). اهـ.

فصل

وأعني بالذكر المضاعف نحو قول: سبحان الله عدد خلقه، كما في قول رسول الله ﷺ لأبي أمامة رضي الله عنه:

«أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِكَ اللَّهُ اللَّيْلَ مَعَ النَّهَارِ؟ تَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا أَخَصَى كِتَابُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَخَصَى كِتَابُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتُسَبِّحُ اللَّهَ مِثْلَهُنَّ، تَعْلَمُهُنَّ وَعَلَمُهُنَّ عَقَبَكَ مِنْ بَعْدِكَ»^(٢).

قال ابن القيم^(٣): قولك: «الحمد لله عدد ما خلق في السماء،

(١) قلت: من أدامن الذكر متفهماً لمعناه، متدبراً له، حاضراً قلبه فيه، معظماً للمذكور سبحانه؛ لا يمكن أن يكون من أهل المعاصي العظام المتتهكين لمحارم الله؛ إذ أن ذكره لله عز وجل بهذه الصفة يصده عن المعصية كما تقدم، وأما أن يُحجر الأجر الوارد في الحديث على أهل الشرف والمقامات العالية في الدين؛ فهذا يحتاج إلى دليل، والله أعلم.

(٢) «صحيح الجامع» (٢٦١٢). وانظر: «الترغيب والترهيب» (٢ / ٤٤٠).

(٣) «الوابل الصيب» (ص ١١٢).

وعدد ما خلق في الأرض، وعدد ما بينهما، وعدد ما هو خالق؛
أفضل من مجرد قولك: «الحمد لله». اهـ.

وأما الذكر المركب المضاعف من الكلمات الأربع؛ فنحو: سبحان
الله وبحمده عدد خلقه؛ كما في «صحيح مسلم»^(١) عن جويرية رضي
الله عنها: أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي
في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: «مَا زِلْتُ
عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكَ عَلَيْهَا؟» قالت: نعم. قال النبي ﷺ:

«لَقَدْ قُلْتُ بِعْدَكَ أَزْيَجَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتُ مُنْذُ
الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ
وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ».

فصل

ومن الأذكار الفاضلة التي ينبغي المحافظة عليها والإكثار منها:
قول: «لا حول ولا قوة إلا بالله»؛ ففي «مسند أحمد»^(٢) عن أبي هريرة
رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال:

«أَكْثَرُوا مِنْ قَوْلٍ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ فَإِنَّهَا كَثُرَ مِنْ كُنُوزِ
الْجَنَّةِ».

وعن قيس بن سعد بن عبادة: أن أباه دفعه إلى النبي ﷺ يخدمه،
قال: فَمَرَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ صَلَيْتُ، فَضَرَبَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ:

(١) (رقم ٢٧٢٦).

(٢) (٢ / ٣٣٣). وصححه الألباني لغيره في «الصحيحة» (٤ / ٣٣).

«أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ بَابٍ مِّنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؟» قلت: بلى. قال: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(١).

ومن أهم الأذكار التي يحتاج العبد للإكثار منها وملازمتها: الصلاة على النبي ﷺ، وذلك بأي صيغة من الصيغ التي وردت في التشهد، وثبت في فضلها أحاديث كثيرة، من أجمعها - فيما أعلم - ما في «مسند أحمد»^(٢) عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه؛ قال: أصبح رسول الله ﷺ يوماً طيب النفس يُرى في وجهه البشر. قالوا: يا رسول الله! أصبحت اليوم طيب النفس يُرى في وجهك البشر! قال:

«أَجَلْ، أَتَانِي آتٍ مِّن رَّبِّي عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً؛ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَرَدَّدَ عَلَيْهِ مِثْلَهَا».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ»^(٣).

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٨١)، والحاكم (٤ / ٢٩٠)، وأحمد (٣ / ٤٢٢).

وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين».

والحديث صحيحه الألباني في «الصحيحه» (٤ / ٣٢٧).

(٢) (٤ / ٢٩). وأخرجه النسائي (٣ / ٥٠) بنحو مختصر، وهو في «صحيح الجامع الصغير» (رقم ٥٧).

(٣) أخرجه النسائي (٣ / ٥٠)، واللفظ له، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٤٣)، والحاكم (١ / ٥٥٠)، وصححه، ووافقه الذهبي.

وأخرجه أيضاً أحمد (٣ / ١٠٢ و ٢٦١) وغيره.

قال الشوكاني^(١): فانظر إلى هذا الأجر العظيم والجزاء الكريم: يصلي العبد على الرسول ﷺ واحدة فيصلي عليه خالق العالم ورب الكل عز وجل عشر مرات! فهذا ثواب لا يعادله ثواب، وجزاء لا يساويه جزاء، وأجر لا يماثله أجر.

فليستكثر من شاء الاستكثار من الخير؛ فإن هذا العبد الحقير الذي هو أحد مخلوقات الرب سبحانه يقول بلسانه هذه الصلاة مرة؛ فيرد الله عليه عشر مرات؛ فهل دليل على الرضا والمغفرة والمحبة من الرب للعبد أدل من هذا الدليل، وأوضح من هذه الحجة؟!

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد عدد ما صلى عليه المصلون منذ بعثته إلى الآن، وعدد ما سيصلي عليه المصلون من الآن إلى انقضاء العالم.

وقال^(٢) بعد أن أشار إلى ما ورد في فضل الصلاة على النبي ﷺ: ومن نظر بعين المعرفة في هذا، وفهم معناه حق فهمه؛ طار بأجنحة السرور والحبور إلى أوكار الاستكثار من هذا الخير العظيم، والأجر الجسيم، والعطاء الجليل، والجود الجميل؛ فشكراً لك يا واهب الجزل ومعطي الفضل.

فصل

ومما ينبغي المحافظة عليه دائماً: أذكار الصباح والمساء، والنوم والاستيقاظ، ودبر الصلوات المكتوبات، وقد رتب الشرع عليها أجوراً

(١) «قطر الولي» (ص ٣٨٩).

(٢) «قطر الولي» (ص ٣٩٠).

عظيمة، وثماراً كثيرة، وفوائد جلييلة، لا يُتصور أن يعلم بها ذو لب ثم يغفل عنها، أو يعدل عنها إلى الأوراد المبتدعة؛ فعليك أيها الموفق بتعاهد ما صح عن نبيك ﷺ؛ حفظاً لألفاظه، وتدبراً لمعانيه.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال:

«لَأَنْ أَقْعُدَ أَذْكَرُ اللَّهَ، وَأَكْبَرُهُ، وَأَحْمَدُهُ، وَأُسَبِّحُهُ، وَأُهْلِلُهُ؛ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُغْتِقَ رَقَبَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَمِنْ بَعْدِ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُغْتِقَ أَرْبَعَ رِقَابٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»^(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ؛ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ». قال: قال رسول الله ﷺ: «تَامَّةٌ تَامَّةٌ تَامَّةٌ»^(٢).

قال الشوكاني^(٣): ومن أكثر الأذكار أجوراً وأعظمها جزاءً الأدعية الثابتة في الصباح والمساء؛ فإن فيها من النفع والدفع ما هي مشتملة عليه.

فعلى من أحب السلامة من الآفات في الدنيا، والفوز بالخير الآجل والعاجل، أن يلازمها ويفعلها في كل صباح ومساء؛ فإن عسر عليه

(١) أخرجه أحمد (٥ / ٢٥٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١ / ١٨٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٥٨٦)، وقال: «حديث حسن غريب»، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (١ / ١٨٨): «حسن».

(٣) «قطر الولي» (ص ٣٨٦).

الإتيان بجميعها أتى ببعض منها.

قال: وكذلك ينبغي ملازمة ما يقال عند النوم وعند الاستيقاظ؛ فإن ذلك هو الترياق المجرب في دفع الآفات.

فصل

ويلزم المؤمن الذاكر لله عز وجل: أن لا يغفل عن طلب حاجات دينه ودنياه من مولاه الرحمن الرحيم، الذي بيده ملكوت كل شيء.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ؛ قال:

«لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الدُّعَاءِ»^(١).

ومن أعظم الأدعية النبوية سؤال المعافاة في الدنيا والآخرة؛ ففي «سنن ابن ماجه»^(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَا مِنْ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

وعن معاذ بن رفاعه، عن أبيه؛ قال: قام أبو بكر الصديق على المنبر، ثم بكى، فقال: قام رسول الله ﷺ عام الأول على المنبر، ثم بكى فقال:

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧٠)، وابن ماجه (٣٨٢٩)، والبخاري في «الأدب» (٧١٣)، والحاكم (١ / ٤٩٠)، وصححه، ووافقه الذهبي.

وأخرجه أحمد (٢ / ٣٦٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الأدب» (رقم ٥٤٩).

(٢) (٣٨٥١). وهو في «الصحيحة» (رقم ١١٣٨).

«اسْأَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ؛ فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ»^(١).

قال الشوكاني^(٢): قوله: (العفو): هو التجاوز عن العبد بغفران ذنوبه، وعدم مؤاخذته بما اقترفه منها.

و (العافية): هي دفاع الله عن العبد، وهذا الدفاع المضاف إلى الاسم الشريف يشمل كل نوع من أنواع البلايا والمحن؛ فكل ما دفعه الله عن العبد منها؛ فهو عافية.

قال: سأل النبي ﷺ ربه سبحانه وتعالى أن يرزقه العفو؛ الذي هو العمدة في الفوز بدار المعاد، ثم سأله أن يرزقه العافية؛ التي هي العمدة في صلاح أمور الدنيا، والسلامة من شرورها ومحنها؛ فكان هذا الدعاء من الكلم الجوامع والفوائد النوافع؛ فعلى العبد أن يستكثر من الدعاء بالعافية، وقد أغنى عن التطويل في ذكر فوائدها ومنافعها ما ذكره رسول الله ﷺ في هذا الحديث؛ فإنها إذا كانت بحيث أنه لم يعط أحد بعد اليقين خيراً منها؛ فقد فاقت كل الخصال، وارتفعت درجتها على كل خير. اهـ.

ومن أهم الأدعية قول السائل: «اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني».

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٥٨)، وابن ماجه (٣٨٤٩)، عن أوسط بن إسماعيل البجلي، وأحمد (١ / ٤) عن أبي هريرة، و (١ / ١١) عن أبي عبيدة.

وصححه شيخنا حفظه الله.

(٢) «تحفة الذاكرين» (ص ٣٠٥).

ففي «صحيح مسلم»^(١): حدثني زهير بن حرب، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا أبو مالك، عن أبيه؛ أنه سمع النبي ﷺ وأتاه رجل فقال: يا رسول الله! كيف أقول حين أسأل ربي؟ قال:

«قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي»، ويجمع أصابعه إلا الإبهام، «فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ».

فصل

ومما ينبغي ملازمته والإكثار منه في الليل والنهار: الاستغفار؛ فإن حاجة العبد إليه عظيمة جداً، أعظم من حاجته إلى الطعام والشراب؛ إذ أنه كثير الخطأ، كثير الزلل، إن لم يقيده هواه، ولم تأسره شهوته، ولم يسجنه شيطانه؛ فلا بد من غفلته وتقصيره في حق مولاه.

وعن عبد الله بن بُسرٍ رضي الله عنه؛ قال: قال النبي ﷺ:

«طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَاراً كَثِيراً»^(٢).

وعن الزبير رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال:

«مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسْرَهُ صَحِيفَتُهُ؛ فَلْيُكْثِرْ فِيهَا مِنَ اسْتِغْفَارٍ»^(٣).

وفي «صحيح البخاري»^(٤) عن شداد بن أوس رضي الله عنه، عن

(١) (رقم ٢٦٩٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨١٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٥٥)، وغيرهما، وهو في «صحيح الجامع» (برقم ٣٨٢٥).

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (١ / ٤٤٠ - ٤٤١ / رقم ٦٤٨) وغيره، وهو في «الصحيحة» (٢٢٩٩).

(٤) (١١ / ٩٧ و ١٣٠ - «فتح»).

النبي ﷺ:

«سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، اغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ». قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُنْسِيَ؛ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُضْحِكَ؛ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

فصل

والأذكار الثابتة عن النبي ﷺ كثيرة جداً، أشرت إلى بعضها تنبيهاً على غيره.

فينبغي للمجتهد الفطن أن يتعلمها ويحفظها، ويعطيها من وقته ما تستحقه، وعليه أن يتدبرها ويفتش عن معانيها؛ فإنها - والله - مشتملة على فوائد كثيرة، ولطائف دقيقة جميلة، وحكم فريدة، وأسرار عجيبة جداً^(١)، فحرام على مسلم أن يضيع من عمره كذا سنة ولم يتنبه بعد لها، ولكن التوفيق بيد الله عز وجل، يهبه من يشاء من عباده، وأبعدهم عنه من ضيَّع وقته في «حزب البحر» و«حزب البر» و«ورد فلان» و«ورد علان»، وعظَّمها جداً، وما بهَرَه كلام من أعطي مفاتيح الكلم^(٢) ﷺ، ولكن ماذا تفعل بقلوب لا تستحق أن يكون فيها كلام

(١) قال ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (١ / ٥٩): «وأسرار كلماته وأدعيته صلى الله عليه وآله وسلم فوق ما يخطر بالبال».

(٢) ثبت من قوله ﷺ: «أُعْطِيَتْ مَفَاتِيحُ الْكَلِمِ»، وهو قطعة من حديث أخرجه البخاري =

رسول الله ﷺ، وما الحيلة في جذبها إلى السنة وقد أعرضت عنها؛
فأعقبها الله تعالى إعراضاً فوق إعراضها جزاءً منه وفاقاً؟!

فصل

ومن أعظم الدعاء: الدعاء بأسماء الله الحسنى، وقد أمر الله تعالى
به في كتابه الكريم؛ فقال جل وعلا:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(١).

قال ابن سعدي^(٢): أصل التوحيد إثبات ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته
له رسوله من الأسماء الحسنى، ومعرفة ما احتوت عليه من المعاني
الجليلة والمعارف الجميلة، والتعبد لله بها، ودعاؤه بها.

فكل مطلب يطلبه العبد من ربه من أمور دينه ودنياه؛ فليتوسل إليه
باسم مناسب له من أسماء الله الحسنى، فمن دعاه لحصول رزق؛
فليسأله باسمه الرزاق، ولحصول رحمة ومغفرة؛ فباسمه الرحيم
الرحمن البر الكريم العفو الغفور التواب، ونحو ذلك.

وأفضل من ذلك أن يدعوه بأسمائه وصفاته دعاء العبادة، وذلك

= (٦ / ١٢٨ و ١٢ / ٣٩٠ و ٤٠١ و ١٣ / ٢٤٧ - «فتح»، ومسلم (٥٢٣)،
وغيرهما، من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال شيخ الإسلام في «الفتاوى» (٢٢ / ٥٢٥): «من أشد الناس عيباً من يتخذ
حزباً ليس بمأثور عن النبي ﷺ، وإن كان حزباً لبعض المشايخ، ويدع الأحزاب
التبوية التي كان يقولها سيد بني آدم، وإمام الخلق، وحجة الله على عباده».

(١) الأعراف: ١٨٠.

(٢) «القول السديد» (ص ١٥٧ - ١٥٩).

باستحضار معاني الأسماء الحسنى وتحصيلها في القلوب، حتى تتأثر القلوب بآثارها ومقتضياتها، وتمتلئ بأجل المعارف؛ فمثلاً أسماء العظمة والكبرياء والمجد والجلال والهيبة تملأ القلب تعظيماً لله وإجلالاً له.

وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة لله، وشوقاً له، وحمداً له وشكراً.

وأسماء العز والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خضوعاً لله وخشوعاً، وانكساراً بين يديه.

وأسماء العلم والخبرة والإحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلب مراقبة لله في الحركات والسكنات، وحراسةً للخواطر عن الأفكار الرديّة والإرادات الفاسدة.

وأسماء الغنى واللطف تملأ القلب افتقاراً واضطراراً إليه، والتفاتاً إليه كل وقت في كل حال.

فهذه المعارف التي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسماء الله وصفاته، وتعبده بها لله؛ لا يُحصّل العبد في الدنيا أجل ولا أفضل ولا أكمل منها، وهي أفضل العطايا من الله لعبده، وهي رُوح التوحيد ورُوحه.

ومن انفتح له هذا الباب؛ انفتح له باب التوحيد الخاص والإيمان الكامل الذي لا يحصل إلا للكمل من الموحدين.

وقال^(١): ينبغي للمؤمن الناصح لنفسه أن يبذل ما استطاع من

(١) «المواهب الربانية» (ص ٦٢).

مقدوره في معرفة أسماء الله وصفاته وتقديسه، ويجعل هذه المسألة أهم المسائل عنده، وأولاها بالإيثار، وأحقها بالتحقيق؛ ليفوز من الخير بأوفر نصيب، ولهذا لما سأل النبي ﷺ الرجل الأنصاري عن سبب ملازمته لقراءة سورة ﴿قل هو الله أحد﴾ في صلاته، فقال: لأنها صفة الرحمن؛ فأحب أن أقرأ بها، فقال: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ». متفق عليه^(١)؛ فثبت أن حب العبد لصفات الرحمن، وملازمة تذكرها، واستحضار ما دلت عليه من المعاني الجليلة، والتفهم في معانيها؛ من أسباب دخول الجنة.

وطريق ذلك أن يجمع العبد الأسماء الحسنى الواردة في القرآن، وهي قريب من ثمانين اسماً، وفي السنة زيادة على ذلك^(٢)؛ فيتدبرها ويعطي كل اسم منها عموم ذلك المعنى وكماله وأكماله^(٣).

(١) هذا الحديث ليس في «صحيح مسلم»، بل ولا في «البخاري»؛ إلا تعليقاً (٢ / ٢٥٥ - «فتح»)، لكن وصله الترمذي عن البخاري (برقم ٢٩٠١ - شاكراً)، وقال شيخنا حفظه الله: «حسن صحيح». وانظر: «فتح الباري» (٢ / ٢٥٧).
وقول الصحابي: «لأنها صفة الرحمن؛ فأنا أحب أن أقرأ بها» ليس في هذا الحديث، إنما هو في حديث آخر، رواه البخاري (١٣ / ٣٤٧ - «فتح»)، ومسلم (٨١٣).

وقد قال النبي ﷺ في حق هذا الصحابي - وهو غير الأنصاري؛ كما في «الفتح» (٢ / ٢٥٨) -: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ».

وبهذا يظهر أن ابن سعدي - رحمه الله - قد خلط بين الحديثين.

(٢) من الأسماء الحسنى الثابتة في السنة: السيد، والطيب، والشافى، والحكم، والسَّيِّر، والحَيِّ، والْقَابِض، والبَاسِط، والمَحْسَن، والرفيق، والطَّيِّب، والجواد، والجميل، والمَنَّان، والسُّبُّوح، والمُسَمَّر.

(٣) انظر بقية كلامه، وهو فريد في بابه، عزيز في فوائده.

وقال ابن القيم^(١): أكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يَطَّلَع عليها البشر؛ فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، كمن يحجبه التعبد باسمه «القدير» عن التعبد باسمه «الحليم الرحيم»، أو يحجبه عبودية اسمه «المعطي»^(٢) عن عبودية اسمه «المانع»، أو عبودية اسمه «الرحيم والعفو والغفور» عن اسمه «المنتقم»، أو التعبد بأسماء التودد والبر واللفظ والإحسان عن أسماء العدل والجبروت والعظمة والكبرياء، ونحو ذلك.

وهذه طريقة الكَمَل من السائر إلى الله، وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(٣)، والدعاء بها يتناول دعاء المسألة، ودعاء الشاء، ودعاء التعبد، وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويشنوا عليه بها، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها.

* * *

(١) «مدارج السالكين» (١ / ٤٢٠).

(٢) قلت: لا شك أن الإعطاء والمنع والانتقام من الأوصاف الثابتة لله عز وجل، أما كون «المعطي» و«المانع» و«المنتقم» أسماء لله تعالى؛ فهذا يفتقر إلى دليل صحيح؛ إذ كل اسم صفة وليس العكس، ولو كان العكس يصح؛ لكان «الماكر» و«القاتل» و«المدمدم» من أسماء الله تعالى، ولكان «المخادع» من أسماء الله تعالى، في الوقت الذي لا يرضى أقل الناس أن تسميه بهذه الأسماء.

(٣) الأعراف: ١٨٠.

خاتمة

اعلم يا من عزمت على المواظبة على ذكر الله عز وجل: أنك في كل طرفة عين محتاج إلى توفيق الله تعالى وإعانتة لك؛ فعليك بالالتجاء إليه سبحانه على الدوام، وسؤاله أن يعينك على ذكره ذكراً كثيراً.

وقد روى أبو عبد الرحمن الحُبْلِيُّ، عن الصَّنَابِجِيِّ، عن معاذ بن جبل؛ أن رسول الله أخذ بيده وقال:

«يَا مُعَاذُ! وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ». فقال: «أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ: لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ».

وأوصى بذلك معاذ الصَّنَابِجِيُّ، وأوصى به الصَّنَابِجِيُّ أبا عبد الرحمن^(١).

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (٣ / ٥٣)، وابن حبان (٣ / ٢٣٤ - «إحسان»)، والحاكم (١ / ٢٧٣) - وصححه، ووافقه الذهبي -، وأحمد (٥ / ٢٤٤ - ٢٤٥ و ٢٤٧)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٧٥١)، وغيرهم. وصحح إسناده الألباني في «تخريج المشكاة» (١ / ٢٩٩ / رقم ٩٤٩).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ؛ قال:

«أَتُحِبُّونَ أَنْ تَجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؟ قُولُوا: اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى شُكْرِكَ
وَذِكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنه؛ قال: كان النبي ﷺ يدعو يقول:

«رَبِّ أَعِثِّي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ، وَانصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا
تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الْهُدَى لِي، وَانصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ،
رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَارًا، لَكَ ذَكَّارًا^(٢)، لَكَ رَهَابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، لَكَ
مُحِبًّا، إِلَيْكَ أَوَاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ
دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ
صَدْرِي^(٣)»^(٤).

وقال ابن القيم^(٥): من كان مشغولاً بالله وبيذكره ومحبه في حال
حياته؛ وجد ذلك أحوج ما هو إليه عند خروج روحه إلى الله، ومن
كان مشغولاً بغيره في حال حياته وصحته؛ فيعسر عليه اشتغاله بالله

(١) أخرجه أحمد (٢ / ٢٩٩) وغيره، وصحح إسناده الألباني في «الصحيحة» برقم (٨٤٤).

(٢) أي: كثير الذكر.

(٣) أي: غشه وغله وحقده. «تحفة الأجوذي» (٩ / ٥٣٩).

(٤) أخرجه أبو داود (١٥١٠ و ١٥١١)، والبخاري في «الأدب» (٦٦٦)، والترمذي (٣٥٥١)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٣٨٣٠)، وابن حبان (٢ / ١٤٩ - «إحسان»).

وصحح إسناده الألباني في «تخريج السنة» (١ / ١٦٨).

(٥) «طريق الهجرتين» (ص ٥٤٥ - ٥٤٦ - ط. قطر).

وحضوره معه عند الموت، ما لم تدركه عناية من ربه، ولأجل هذا كان جديراً بالعاقل أن يلزم قلبه ولسانه ذكر الله حيثما كان؛ لأجل تلك اللحظة التي إن فاتت شقي شقاوة الأبد؛ فنسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته. اهـ.

و «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»^(١).

وكتب

محمد شومان



(١) أخرجه الحاكم (١ / ٥٣٧) وغيره، عن جبير بن مطعم؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ... فَقَالَهَا فِي مَجْلِسٍ ذَكَرَ كَانَتْ كَالطَّائِعِ يُطِيعُ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَالَهَا فِي مَجْلِسٍ لَمْ يَذْكُرْ كَانَتْ كَفَّارَةً لَهُ».

وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وأقرهما الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١ / ١٢٠).

فهرس للوضوعات

المقدمة	٥
الباب الأول: في معنى الذكر وأنواعه وروحه	٩
فصل في معنى الذكر	١١
فصل في أنواع الذكر وما يثاب عليه منه	١٤
متى يكون الذكر نافعاً	١٥
ما يثاب عليه من الذكر	١٧
تنبيه	٢١
فصل في روح الذكر	٢٣
الباب الثاني: في الأمر بذكر الله تعالى ذكراً كثيراً والتحذير من	
الغفلة	٢٩
الفصل الأول: في الأمر بذكر الله تعالى والتحذير من الغفلة	٣١
معنى التبتل	٣١
من شروط الذكر	٣٤
معنى ذكر الله في النفس	٣٥
آداب الذكر	٣٦

التحذير من الغفلة	٣٨
سبب مرض القلب	٤٢
تحذير شديد من الغفلة على لسان النبي ﷺ	٤٣
وجوب ذكر الله تعالى والصلاة على نبيه في المجلس	٤٤
الفصل الثاني: في الذكر الكثير	٤٩
الأمر بالذكر الكثير بعد صلاة الجمعة	٥٣
الأمر بالذكر الكثير بعد مناسك الحج	٥٤
الأمر بالذكر الكثير عند لقاء العدو	٥٥
من فضائل الذكر الكثير	٥٧
كيف يتيسر دوام الذكر	٥٩
فضائل أخرى للذكر الكثير	٦٠
فصل في تعريف الذكر الكثير	٦٤
فصل وأكمل الناس ذكراً لله تعالى	٦٦
الذكر القليل صفة المنافقين	٦٩
الباب الثالث: في فضل ذكر الله تعالى	٧١
ذكر الله تعالى خير الأعمال	٧٣
الذكر سبب لذكر الله تعالى للذاكر	٧٧
الذكر يورث الذاكر المحبة	٨١
الذكر سبب لمعية الله تعالى	٨٢
الذكر يوجب الإستغفار من الأوزار	٨٣
فضائل أخرى للذكر	٨٤

الذكر غراس الجنة	٨٨
الذكر أعظم أسباب النجاة من عذاب الله تعالى	٩٠
لابد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه لمحاسبتها وغير ذلك	٩٢
الذكر يورث حياة القلب	٩٣
الذكر يحرز العبد من الشيطان	٩٦
الدنيا ملعونة إلا ما فيها من ذكر الله تعالى وما والاه	٩٨
خمس وعشرون فائدة أخرى للذكر	٩٩
الباب الرابع : في أحوال المؤمنين عند ذكر الله تعالى	١٠٩
من أحوالهم عند الذكر وجل القلب	١١١
ومن أحوالهم اقشعرار الجلد	١١٢
ومنها الطمأنينة	١١٣
الوعيد على قسوة القلوب وإعراضها عن الذكر	١١٥
ومن أحوالهم الخشوع	١١٨
فصل والخشوع يتضمن معنيين	١٢٠
إستعاذة النبي ﷺ من قلب لا يخشع	١٢١
بيان خشوع الإيمان وخشوع النفاق	١٢٢
ومن أحوال المؤمنين عند الذكر البكاء	١٢٣
فضل البكاء من خشية الله تعالى	١٢٤
بكاء النبي ﷺ	١٢٦
ذم ما عليه أهل البدع من الأحوال الزائفة	١٢٩
ومن أحوال الذاكرين الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة	١٣٠

قاعدة تحرك القلوب إلى الله تعالى	١٣٢
الباب الخامس: في أفضل الذكر وأحبه إلى الله تعالى	١٣٥
أفضل الذكر تلاوة القرآن الكريم	١٣٧
فصل في تدبر القرآن الكريم	١٣٩
فصل وأفضل الذكر بعد القرآن قول لا إله إلا الله	١٤١
أحب الكلام إلى الله تعالى	١٤١
الذكر المركب	١٤٣
الذكر المضاعف	١٤٥
فضل لا حول ولا قوة إلا بالله	١٤٦
فضل الصلاة على النبي ﷺ	١٤٧
ما ينبغي المحافظة عليه من الأذكار	١٤٨
ضرورة ملازمة الدعاء	١٥٠
حاجة العبد إلى الاستغفار أعظم من حاجته إلى الطعام	١٥٢
التحذير من ترك الأذكار النبوية والإشتغال بأوراد المشايخ	١٥٣
علو شأن الدعاء بالأسماء الحسنى	١٥٤
خاتمة وفيها ضرورة طلب العون من الله تعالى على الذكر	١٥٨
الفهرس	١٦١

